الإنسان العاقل

(دليل التفكر في العقيدة خطوة خطوة)

دكتور عبدالله – العربى – الطبعة الثالثة

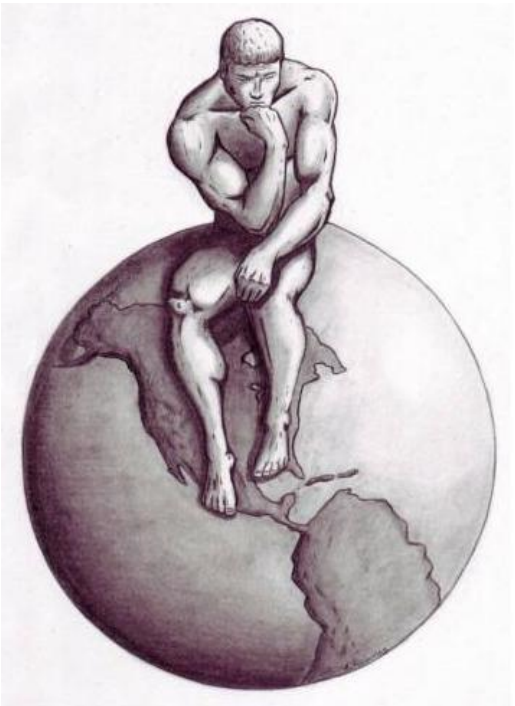

الفصل ١: المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لآ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ونشهد أنَّ محمداً عبد الله ورسوله صلي الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين »

أهنئك باختيارك قراءة هذا الكتاب الذي صنّف بفضل الله ولطفه سبحانه وتعالى مع مساعدة بعض الأصدقاء بشكل مباشر أو غير مباشر. وهذا الكتاب يبحث عن الإيمان والاعتقاد اللذين هما أهم الأمور في حياة الإنسان ويبحث عن نظريات كل إنسان في البعد الديني والاجتماعي، وقد نُظِّم الكتاب في واحد وثلاثون فصلاً، ولقراءة كل فصل تقريباً تحتاج إلى خمس عشرة دقيقة. وأرجو منك أن تقرأ كل فصل من هذا الكتاب في مدة أربع وعشرين ساعة، والأفضل أن تفكر في هذه الفترة عن المباحث، وتدرسها في ذهنك دراسة تحليلية.

في الحقيقة لهذا الكتاب مؤلفان، المؤلف الأول جمع المطالب والمباحث وصنّف الكتاب على شكله الحاضر بين يديك، والمؤلف الثاني أنت أيها القارئ؛ لأن التفكر في الفصول يؤدي إلى خط متواصل من الفكر لديك حتى تتابع الفكرة إلى آخر الكتاب. إذا قرأت هذا الكتاب بشكل غير صحيح ومغاير مع البرنامج الذي وضع له لن تصل إلى الهدف النهائي لهذا الكتاب.

البرنامج المقترح على التالي:

١- اقتراحنا لك أن تقرأ كل فصل على حدة وتنهي قراءة الكتاب بمدة أقصاها شهر أو شهرين.

٢- أن تضع فاصلة زمنية معينة بين كل فصل لا تزيد عن أربع وعشرين ساعة.

٣- بعد دراسة كل فصل من فصول الكتاب فكّر في مباحثها في فترة أربع وعشرين ساعة.

٤- إذا استشكل سؤال في ذهنك أثناء المطالعة لا تترك القراءة وتابعها لأنه يحتمل أن تصل إلى الجواب في الفصول الآتية بإذن الله.

٥- تفكّر القارئ هوالهدف الأساسي لهذا الكتاب؛ إذا" تفكَّر بعد قراءة كل فصل.

٦- طُرح في آخر بعض الفصول من الكتاب سؤال هو مقدمة تفكّرك في مباحث الفصل.

٧- جميع مباحث الكتاب مستندة بالاستدلالات القرآنية والعقلية، وليس لمذهب معين، بل الخطاب لجميع المسلمين.

٨- إذا تعبت من الفصول الأولى تابع القراءة؛ لأنها يكون مقدمة الفصول الآتية، ويستعد الذهن للمباحث المهمة في هذا الكتاب.

٩- علما بأن عددا كبيرا من الناس لا يوجد لديهم الوقت الكافي لقراءة الكتب؛ لهذا اختصرنا ما استطعنا.

١٠- هذا الكتاب مفيد للغاية للذي لا يسمح لأحد أن يتفكّر بدلاً عنه، ويحمله أفكاراً ما، بل يعلم قيمة التفكّر في حياته، و هذا الذي يستطيع أن يبحث عن حقيقة الدين الإلهي من ينبوعه الأصلي.

١١- هذه الكتاب هو الإصدار الثالث، وقد تمت إضافة الفصل الرابع والعشرين المهم جدًا في الإصدار الثاني، كما تمت إضافة عدة ملاحق مهمة في هذا الإصدار.

جعلنا مقدمة الكتاب كالفصل الأول منه لتدخل سريعاً إلى المباحث؛ لذا يمكنكم الدخول مباشرة إلى الفصل الثاني من الكتاب وقراءته. و أخيراً، أؤكد وأرجو منك التركيز والتفكير في هذا الكتاب.

سؤال للتفكر: هل تعلمون لماذا يكون فكر كل إنسان ونظره ذا أهمية وقيمة؟

آية منتخبة

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (رعد – ٣)

الفصل ٢: قيمة التفكر

لماذا الناس اليوم لا يحبون الله ولا يخافون منه؟ لماذا لا يجعل أحدنا ساعة للتفكر في عظمة الله سبحانه إلي جانب نشاطاتنا اليومية؟ نسعى لكي نجيب معا عن هذه الأسئلة في هذا الفصل.

نستطيع أن نقسّم الناس في التفكر في الإيمان والعقيدة إلى أربعة أقسام:

الفريق الأول: الذين لا يتبعون شيئاً، ولا يهتمون بالدين والإيمان والعقيدة والحياة بعد الموت، ولا يفكرون طول حياتهم إلا بطعام وبيت وشغل... اولئك نسوا الله و عبادته و يوم القيامة. قال سبحانه في بيان حال هؤلاء محذرا المؤمنين عن الوقوع في مثل حالهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) *وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)* (الحشر- ١٨ و ١٩)

وايضاً:

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) *وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)* وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) (الاعراف- ١٧٨ إلى ١٨٠)

الفريق الثاني: الذين يهتمون بالإيمان والعقيدة، والحياة بعد الموت، والصلاة والصيام، وكل عمل يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، ويجتهدون بأن يصلوا إلى الجنة ورضا رب العالمين بدون ارتكاب الذنوب والأخطاء. لكن المشكلة الأساسية لهؤلاء الأفراد هي أنهم بالرغم من الاهتمامهم الشديد بالإيمان والعقيدة؛ لا يتفكرون بهذه المباحث من حين الولادة حتى الموت، فورثوا التفكر بالإيمان والاعتقاد من آبائهم وإذا سألتهم عن الإيمان والاعتقاد، يجيبونك بأنهم أخذوا الدين عن آبائهم و عن مجتمعهم و يفعلون كما فعلوا و يقولون كما قالوا تقليديا دون تفكر و تأمل. هؤلاء عندهم من الآراء والأفكار فقط ما كان في كتبهم الدراسية، أو ما تعلموه من آبائهم. قال الله تعالى في القرآن مبيناً لحال هؤلاء:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ (١٧٠) (البقره- ١٦٨ إلى ١٧٠)

الفريق الثالث: الذين يهتمون بالعقيدة، والحياة بعد الموت، ويبحثون ويقرؤون كثيراً في مسائل ترتبط بالعقيدة والدين والروح والحياة بعد الموت، ويتفكرون كثيراً في الإيمان، وحقيقة الإنسان، والحياة بعد الموت، ويجعلون وقتاً خاصاً للتفكر

في هذه المباحث لكن المشكلة الأساسية عند هؤلاء أنهم لا يتبعون إلا التوهم والظن الذي عندهم، هؤلاء دائما" يبحثون في المكتبات و في العلوم الفلسفية و المفاهيم المنتزعة العقلية عن الحقائق الدينية الإلهية التي ما انتقلت إلى الإنسان الا عن طريق الكتب السماوية (الوحي)، فهؤلاء و إن كان لهم اهتمام بتعلم هذه الأمور الأساسية المهمة إلا أنهم أخطأوا في سلوك سبيل معرفتها. تصوّروا . أيها الأعزاء . لو لم يأت في القرآن مثل هذه المفاهيم "يوم القيامة" الملائكة، الجن... كيف كان يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذه المفاهيم؟! و بأيّ عقل تُدرك هذه المغيبات؟! قال الله تعالى في مفاهيم ما وراء الطبيعة:

إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (فاطر-٣٨)

وايضاً:

قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) (النمل- ٦٥ و ٦٦)

إذن؛ نفهم أن المفاهيم المتعلقة بالغيب مثل (القيامة، والملائكة، والجن...) انتقلت إلى البشر عن طريق الكتب السماوية والوحي فقط، ولا يستطيع أحد أن يصل لهذه المفاهيم عن طريق العقل. لو كان الإنسان يتبع المكاتب الفلسفية البشرية في عقيدته ضل ضلالاً مبيناً، لأنها ليست إلا صنعاً من ذهن البشر. قال الله سبحانه وتعالى محذّرا نبيّه خصوصا و الأمّة عموما عن اتباع عقول الناس للحصول علي الهداية الإلهية:

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧) (الانعام- ١١٥ إلى ١١٧)

الفريق الرابع: الذين يهتمون بالعقيدة والحياة بعد الموت و يتفكرون بالدين والروح والغيب والحياة بعد الموت ويقبلون المفاهيم التي تتعلق بالغيب من الكتاب (القرآن) فقط لأنه هو المرجع الإيماني الوحيد و يهتمون بالعقيدة و يبحثون عنها ولا يقلدون فيها ويعترفون بأن كلام الله يعلو ولا يعلى عليه قال الله سبحانه وتعالى في وصف هؤلاء:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) *وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)* أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) (البقره- ٣ إلى ٥)

أكثر الناس اليوم يظنّون أنهم اختاروا أفضل طريق وأحسن هدف لذلك يصرون على آرائهم بالتعصب والجهل ولا ينظرون إلى آراء الآخرين لأنهم يظنّون ما دام أنّ لديهم أحسن طريق وفكر لا حاجة لهم إلى استماع أقوال الآخرين و آراءهم. عندما يظهر مكتب خاص ويتكلم عن السعادة البشرية المتعصبون لا ينتبهون لهذه السعادة لأنهم دائماً

يرجحون آراءهم على الآخرين، فعندما نريد أن نميز هل عندنا أحسن مكتب والغاية في الحياة، علينا أن نفتح آذاننا وأعيننا بدون أي تعصب ونستمع إلي النقادين.

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (١٨) (الزمر- ١٧ إلى ١٨)

أفضل البرامج المثمرة لحياة كل شخص البرنامج الذي وضعه الخالق للإنسان لا الإنسان للإنسان لأنه مخلوق وضعيف وجمبع الآراء والأفكاره ثمرة ذهنه ممكن أن يحصل على الصواب في الأمور الدنيوية لكن لا يحصل علي السعادة في الآخرة.والإنسان يفكر ويجتهد للسعادة مع عمر محدود (المتوسط لشخص سالم يكون ثمانين سنة) ويبحث عن السعادة في الدنيا، والهدف الأساسي للشريعة الالهية أن تنقل الإنسان من السعادة المحدودة الدنيوية إلى السعادة الأبدية الأخروية. هذا و الاطمئنان الدنيوي الذي يبحث عنه الإنسان و يسعي لحصوله سعيه، لا يحصل إلا عن طريق الدين.

سؤال للتفكر: برأيك أي الفريق من الناس أحسنهم ؟

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا - إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (الانسان – ٢ تا ٣)

الفصل ٣: التفكر أم التقليد

عندما يولد مولود في بلد إسلامي يولد بالفطرة مسلماً؛ لأن الأب والأم و المجتمع و نظام الحاكم كلهم مسلمون، وبالتالي عندما يولد مولود في بلد نصراني قطعاً يصبح نصرانياً؛ لأن المجتمع والأسرة يربونه هكذا، لكن هل الحقيقة هي التي يخضع لها المجتمع؟ أو علينا أن نعرف الحقيقة بالتفكر والتدبر، مثال: نفترض أن يحضر يهودي ونصراني ومسلم يوم القيامة للإجابة على بعض الخرافات الموجودة في عقائدهم و التي لم يأذن به الله تعالي في دينه و شريعته للعباد، فيقول اليهودي: أنا ولدت في أسرة يهودية وأخذت العقيدة من الآباء والمجتمع. ويقول النصراني: أنا ولدت في أسرة نصرانية وتعلمت العقيدة من الآباء والمجتمع. والمسلم يقول: أنا ولدت في أسرة مسلمة وتعلمت العقيدة من الآباء والمجتمع، فهل تظنّ أن يقال في هذا الموضع للمسلم: «ادخل الجنة»؟ قطعاً لا، لأنه ليس هناك فرق بينه و بين من سلك سبيل الباطل إذ كل واحد منهم اتخذوا منهجهم بالتقليد لا بالتحقيق، فيكون الحكم الإلهي عليهم هناك سواء، فإذن الإيمان والعقيدة الصحيحة الموجبة لمرضاة الله يحصل بوسيلة تفكر الشخص بنفسه في الآفاق (طبيعة وكون) والأنفس (خلق البشر) حتي يتبين لهم أن وراء هذه المخلوقات خالق مدبّر قدير. قال الله تبارك و تعالي في تأييد هذا الأسلوب: سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق (فصّلت، ٥٣). لهذا كثيرا ما دعا الله سبحانه و تعالي في القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر في آياته، وأن لا يكون مقلداً محضاً من الأسرة والأجداد والعلماء والمجتمع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) (الزخرف- ٢٢ إلى ٢٤)

الذي يبحث عن الحقيقة قطعاً يصل إليها "" من جدّ وجد "" ونحن نعترف أنه لا يوجد بعد كلام الله كلاماً، ونعترف بأهمية القرآن الكريم و أنّ جميع آياته اسباباً للهداية والسعادة. والذي يفكر في القرآن و يجاهد في ابتغاء مرضاة الله، وعده الله الهداية وعداً مؤكداً.

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (العنكبوت – ٦٩)

دقّقوا في كلمة ((لنهدينّهم)) جاءت بلام القسم و نون التأكيد و هذا يعني الهداية قطعاً، لكن بشرط النية الصحيحة و طلب الهداية؛ والهداية تحتاج إلى جهدٍ بسيط. إن الهداية ليست صعبة كحلّ معادلة رياضية عويصة أو إثبات قاعدة هندسية مبهمة؛ بل تحتاج إلى استنتاج كلي ويحصل ذلك بالتفكر في آيات الله سبحانه. الاعتقاد ليس تقليدياً ومعيار معرفة الإيمان والعقيدة يكون الوحي (القرآن)؛ إذن معيار العقيدة ليس كلام الناس بل كلام الله.

علي الإنسان أن يبحث عن العقيدة الصحيحة _ولا يجلس حتى تأتي العقيدة الصحيحة تلقائيا أو تقليديا _ والأهم من هذا أن مسألة الإيمان والعقيدة ليست مسألة عادية حتى يتركها الإنسان "بل من الضروريات الأساسية في حياة المسلم لأنها تكون معيار الاختيار بين الجنة والنار؛ لهذا يجب على كل إنسان أن يختص وقتاً في حياته للبحث عن العقيدة الصحيحة وقد نُظّم هذا الكتاب ليبّين لكم الخطوة الأولى للتفكر. من الواضح أن البعد عن الأوامر الإلهية والكفر بها لا يُقِل شيئاً من قدرته وعظمته ولا يغير الكون ولا يمنع من نزول المطر والثلج ولا يغير الليل والنهار؛ بل الضرر يرجع إلينا نحن البشر" كما أن المريض حيث لا يذهب إلى الطبيب يرجع الضرر إلى نفسه لا إلى الطبيب.

تيقنوا أن اختيار الإيمان والعقيدة دائما يكون من طرف الإنسان نفسه ويوم القيامة كل شخص يُسأل عن إيمانه وعقيدته ولا يُسأل الآخرون عن عقيدتنا وإيماننا. الإيمان لا يؤخذ من نقل الناس وعلماء الفلسفة والدين بل يؤخذ من مرجع قوي هو القرآن لأن يوم القيامة تستطيع أن نستند بالقرآن فقط. نحن عندما نريد أن نشتري سيارة نسأل ونستشير كثيرا من الناس والخبراء ومكاتب السيارات ونسأل عن الأسعار ونفكر بنزول وصعود السعر حتى نشتري السيارة هل نعظم عقيدتنا وإيماننا بنسبة واحد بالعشرة من شراء السيارة؟ هل نستعد أن نخصص أوقاتاً لتبيين العقيدة وأصولها كما نعطي الساعات لشراء السيارة. العقيدة التي تبنى عليها الحياة الأبدية.

النقطة الأساسية هنا: أن حصول الهداية يحتاج إلى قراءة القرآن بكيفية التي تبين وتوضح لك الطريقة الصحيحة لا بطريقة التي توجد فيه أفكار وأغراض من ذهنه ومن ثَم يقرأ القرآن على أساس هذه الأغراض فقراءة القرآن تبعاً لا يهديه بل هو يهدي القرآن. الإنسان المفكر هو الذي عنده هدف وغاية ويوازن بين أفكاره وعقيدته مع القرآن كلما وجد شيئا من أفكاره وعقيدته يخالف القرآن حذفه من أفكاره بالقوة وكلما وجد نقصاً من أفكاره جبره بالقرآن وفي النهاية تكون عنده عقيدة قرآنية صحيحة.

يجب أن نستنير بالقرآن حتى يكون عندنا يوم القيامة لكل جزء من عقيدتنا وإيماننا دليلا من القرآن لكي يستند به.

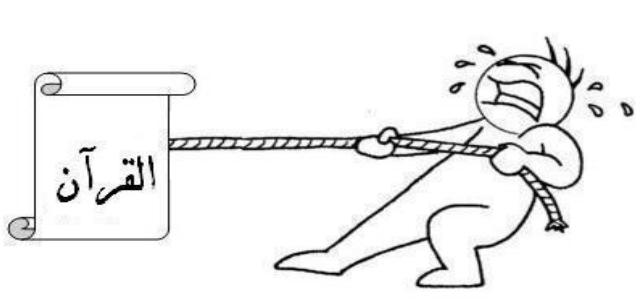

الذي يقرأ القرآن بغرض الذي يهدى القرآن

الذي يهديه القرآن

من المشاكل الأخري التي تحول بين الإنسان و الفهم الصحيح من القرآن هي التفسير بالرأي؛ و هذا يعني أن بعض الناس يريدون أن يطبقوا الحوادث التاريخية وآراء الناس بالقرآن و لكن علينا أن نعلم أنّ في مسألة الإيمان يجب أن ننسى

الحوادث التاريخية ونستعيد ونتفكر بالقرآن الذي هو المرجع الأساسي في الإيمان. مع الأسف الشديد إن الناس اليوم يظنون أن عددا محدودا من الناس يفهمون الدين ولهذا هؤلاء يفكرون لبقية الناس فهم يقولون للناس: نحن بحثنا وحققنا الإيمان وفهمنا الدين لأنه لا يفهم الدين غيرنا إذن قلدونا ولا يحتاج أن تتفكروا في الدين نحن فهمنا وتعلمنا الدين. وإذا كان هكذا يجب أن يفهم القرآن عدد خاص من الناس؛ يجب أن ينزل القرآن فقط على هؤلاء طالما نزل القرآن على كل البشر الصغير والكبير يستفيد منه ولهما سهم فيه:

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (القمر- ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠)

تعليم وتعلم التوحيد عمل سهل لكن أن تكون الموحد أو المتقي' هذا عمل العباد الحقيقي' القرآن كلام إلهي معجز ومقرون بالتحدي ومحفوظ من طرف الله عن التغيير والتحريف.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر- ٩)
وايضاً:

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (الكهف- ٢٧)

رسول الله ﷺ يوم القيامة يسأل عن قومه ويشتكي لماذا تركتم القرآن. النبي ﷺ تحمل كثيرا من المشقات والأذى والمشاكل العالية والروحية في مدة ثلاث وعشرين سنة حتى وصلت إلينا رسالة الله عز وجل. ونحن اليوم نقضي ساعات كثيرة لأجل كسب المال والنزهات لكن لا نعطي في اليوم دقائق حتى نقرأ القرآن بالتفكر والتدبر.

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (الفرقان- ٣٠)

إن الإيمان و العقيدة الصحيحة يحصل لكل شخص لكن بشرط أن يعطي له وقتا ويتفكر فيه. انظروا، إن المسألة التي نريد أن نبينها هنا هي أنّ في مجتمعنا اليوم كثير من الناس يفكرون أن عقلهم وفكرهم يكون في رؤوس الآخرين ويأخذون العقيدة من شخصيات معينة هذا هو المشكل الأساسي، قال الله سبحانه وتعالى في كلامه آمرا جميع العباد و العقلاء بالتفكر في خلق السماوات والأرض وآيات الله وخلق أنفسنا، ولم يقل: قولوا للآخرين لكي يتفكروا لكم؛ الرسول ﷺ عندما تلى القرآن لمسلمين الجدد وصحح إيمانهم وعقيدتهم ولم يقل لهم اذهبوا إلى أبي جهل وأبي لهب واستشيروهما واسئلوهما في إيمانكم وعقيدتكم وآيات القرآن. عندما فهموا الحقيقة قبلوا فوراً. بعض الناس استشكل عليهم فرق بين الفقه والإيمان ويأخذون الفقه مكان الإيمان ويفكرونه مبهما وغير واضح. عقيدة الإنسان تبنى على تفكره واستنتاجه ولا يستطيع في هذا المجال أن يصور من أفكار الآخرين (أب، أم، علماء، اجتهاد) إذا كان الشخص يريد أن يحقق في موضوع الإرث فعليه أن يبحث عن الفقه و يراجع من يعلمه، لكن إذا كان الشخص يريد أن يدرك

التوحيد الكامل يجب عليه أن يستفيد من العقل ويتفكر في القرآن. و ممالا شك فيه أن اليوم هناك كثيرا من الناس يصلون الصلوات الخمس ولا يتركون الصلاة أبدا وايضاً كثير من الناس يفعلون الأعمال النافعة العامة لكن مع كل هذا لو كان إيمان هؤلاء بقدر رأس الإبرة ملوث بالشرك لا يقبل عمل من هؤلاء عند الله سبحانه وتعالى مثال آخر:

نفترض أن نكون في الصف مع الطلاب وأعلن أول السنة أن أسئلة الاختبار آخر السنة يكون من الكتاب المقرر ويطرح الأسئلة من طرف إدارة المعهد ويصحح أوراق الاختبار في إدارة المعهد مع هذا مدرس المادة يقول أنا أعطيكم النؤطة وفيها مطالب كثيرة من خارج المادة المقررة؛ الطلاب الأذكياء يدرسون النؤطة والكتب معا لكن الطلاب الأغبياء يسمعون كلام المدرس فقط وينسون إعلان إدارة المعهد ويدرسون النؤطة فقط؛ يوم الاختبار يرون الأسئلة كلها طرحت من الكتاب ولم تطرح من النوطة. سؤال واحد: من هو الفائز والناجح الواقعي؟ القرآن في مجال الإيمان يكون لنا مثل الكتاب المذكور آنفا.

بعد بيان جميع المطالب المذكورة ايضاً يوجد كثير من الناس لا يقبلون هذه المباحث المذكورة لأنهم يظنون أنهم لايستطيعون أن يتفكروا، فاقتراحنا لهؤلاء أنهم و إن لم يدركوا هذه المباحث حق إدراكه لكن عليهم أن يتابعوا التفكير مخلصا مع الطلب ولا ينسوا أن الهداية من الله سبحانه وتعالى؛ و عليهم أن لا يكونوا مثل الذي يريد أن ينسى حادثة غير مطلوب (كارثة التي مثل حادث السيارة). التي وقع به بل فكروا بمسائل هذا الفصل والفصول الآتية. والذي يخاف من التفكير والمطالعة لئلا تزول عقيدته ولا يستطيع أن يدافع عن عقيدته بالبراهين المقنعة، فهذه العقيدة ليست عقيدة صادقة بل هي ظن وتوهم.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (الانفال – ٢٢)

الفصل ٤: التفكر في الخلق

في هذا الفصل ننظر إلى آيات القرآن التي بينت عظمة الخالق وحاكميته المطلقة وآيات التي تدعو إلى التفكر في المخلوقات و ملكوت السموات؛ انتبهوا لهذه الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) (الحجر- ١٩ إلى ٢٥)

في هذه الآيات يبين الله تعالى قدرته ونعمه التي أودعها للبشر وربنا خلق الأرض وسوّاها للإنسان ونحن نمشي بسهولة علي الأرض ولا نشعر بأي مشقة مثلاً نفترض إذا كان الإنسان حينما يمشي على الأرض وكانت الأرض لينة تخسف الإنسان كان العيش صعبا على الأرض لكن ربنا سبحانه بسط الأرض تحت أقدامنا وثبتها بالجبال التي تدافع عن الإنسان في الزلازل والسيول. وايضاً ربنا يقول خلقنا كل من النباتات بشكل موزون ومتعادل وايضاً مخلوقات التي خلق الله سبحانه لا ترى فيها عيبا ولا عوجا في خلقها؛ يوميا نسمع من المحققين والعلماء كشفيات جديدة في المخلوقات التي تبين عظمته وقدرته لا تتناهى هذه الكشوفات تكون في الحيوانات والنباتات والكون وايضاً في بدن الإنسان وربنا يقول في كلامه نحن نفعل و نصنع و نغذي و نربي... وإلا لا يولد أي مخلوق بدون إذنه سبحانه هذا هو الله الذي أراد فعل هذه الأشياء، والمخلوق لا قدرة له بدون إذن من الله، هو الذي خلق الموجودات ويرزقها والحيوانات مثل الطائرات والموجودات البحرية والموجودات المجهرية أو لايرى إلا بعين المسلح حيوانات الوحشية و الأليفة منها إذا أجمعت جميع البشر لا يقدرون أن يرزقوا عددا قليلا من هذه الموجودات هو الرزاق ويرزق كل المخلوقات والبشر من المسلم والنصراني والكافر والمشرك جميعا ولا يمنع الرزق عنهم ويرزقهم جميعا الذخائر والمعادن وكل شيء من المخلوقات عنده ولا تخرج المخلوقات من حيطة قدرته وعلمه هذا هو المالك الحقيقي إنه الله الذي يتشرف كل ماهية وأساس كل مخلوق وهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر من النعم مثل: المطر، الثلج، حركة الرياح وحركة السحاب، ضوء الشمس كل شيء في علمه وقبضته وبقدر معلوم ينزل على العباد إننا ندعو الله في طول حياتنا لكي يعطي لنا العلم خارج عن قدرتنا لا يستجيب هذا الدعاء لأنه عالم حدود وطاقة كل مخلوق ويعطي كل مخلوق على قدر طاقته هل حركة الرياح تكون سببا لحركة السحاب وعملية اللقاح والمطر الذي يزيل العطش من جميع المخلوقات في الأرض وربنا يؤكد في هذه الآية المذكورة على هذا السير الذي يرفع العطش الإنسان طالما هذا الإنسان لا يقدر على حفاظه على الماء انظروا إلى خلف سد الماء بعد المطر يزيد الماء ويعلو هذه الحواجز هل يبقى هذا الماء بهذه الكمية؟ كمية من الماء ينزل في الأرض وكمية منها يتبخر إلى السماء بعد مدة ترى ما بقي الماء حتى ينزل المطر الرحمة على الأرض ويستفيد كل الموجودات؛ المسألة المهمة من قدرته سبحانه في أمر الحياة والممات هو الذي يحيي ويميت، هو الذي في فصل الشتاء والخريف يميت

الأشجار والنباتات الخضرة وفي فصل الربيع يرجع إليها الحياة، و هو الذي يحيي ويميت الأشجار هو القادر أن يبعث ويحيي الإنسان بعد هذه الدنيا في الحياة الأخرى إذا جاء أجل جميع البشر ومات الجميع يبقى الله ويكون هو وارث الكون والنعيم جميعا والأرض وما فيها من النباتات والحيوان والجماد والمدن والدول وجميع الفنون والعلوم يخرج من يد الإنسان ويرجع إلى وارثه الحقيقي ربنا المتعال هو الأول و الآخر هو العالم بأحوال وأفكار الخلق وايضاً هو علام بالمستقبل وبعاقبتنا وهو بكل شيء عليم. أخيرا جميع البشر يحشرون يوم القيامة بين يديه سبحانه وتعالى لجزاء أعمالهم إن الله عليم يعني عالم المطلق بأحوال العباد والمخلوقات وحكيم يعني حكيم مطلق في الأرزاق وإرسال النعم.

بعض الناس في زمن النبي ﷺ كانوا لا يرون النعيم الإلهي ويسألون عن يوم القيامة. هذا إنّ علم يوم القيامة و زمان وقوعها عند الله فقط، عالم يقول: "من مات قامت قيامته"، إذن الأفضل أن نعبر عن الأموات الذين ماتوا قبلنا، نفكر قليلا في حالنا ونتأمل في دستور العمل الإلهي القرآن لأن موتنا بداية قيامتنا ولا نرجع إلى الدنيا ولو لمدة قصيرة.

سؤال للتفكر:

لماذا ربنا سبحانه يعرض قدرته للبشر؟

ما معنى من مات قامت قيامته؟

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الاسراء – ٤٤)

الفصل ٥: التفكر في قدرة الله

لماذا ربنا يدعو الناس جميعا للتفكر في خلق الإنسان و السماوات والأرض؟ و يأمرهم بالتدبر في القرآن؟ لماذا التفكر في القرآن له قيمة عظيمة؟ انتبهوا لهذه الآيات التي تبين قيمة التفكر في القرآن الآفاق والأنفس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (ابراهيم- ٥٢)

ايضاً:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ (آل عمران- ١٩٠)

و ايضاً:

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آل عمران- ٦)

جاءت في القرآن الكريم ألف وثلاثمئة آية في الكون وخلق البشر و في تتمة الآيات يدعوا الإنسان للتفكر؛ من الوضوح لا يستطيع أحد أن لا ينتبه بوجوده وخلقته في الدنيا ويعيش ويأكل ويشرب تقليداً بدون تأمل، ولا يستطيع أحد أن يبدل الحياة العقلانية البشرية مع الحياة الحيوانية بلا تفكير؛كأن قيمة كل شخص ترتبط بفكره وتدبره وكما تعلمون في التاريخ أهل الفكر والمفكرون كانت مكانتهم عالية ومرتفعة من بقية الناس. نفترض شخصين أحدهما أعمى والآخر بصير إذا كان الأعمى يريد أن يقطع الشارع سوف يحدث له حادثة وايضاً إذا كان البصير يريد أن يقطع الشارع وهو غضّ عينيه سيحدث له سانحة ؛إذن لا يتفاوت عن الأعمى. عقل الإنسان ايضاً يكون هكذا إذا كان الإنسان لا يستفيد من عقله لا فرق بينه وبين المجنون بل ولا يتفاوت مع الحيوان. عادة كل إنسان عندما يبلغ عقليا يبرمج لحياته هدفا ويسعى سعيا حثيثا جادا ليصل إلى هدفه؛ بعض الناس لهم أهداف قصيرة الحدود مثل كسب اللذة والشهوة والسعادة الدنيوية المؤقتة والآخرون يجتهدون لأهداف طويلة المدة وخالدة مثل السعادة الأبدية. أراد الله للإنسان أن ينتخب هدفه النهائي في الدنيا بعقله لا بعاطفته. هناك أدلة كثيرة نستطيع أن نذكر لأجل دعوة الله سبحانه للناس للتفكر.

أولا: أن يصل الإنسان إلى عين اليقين بوجود خالقه مع التفكر في آياته؛ هذه الدنيا التي نعيش فيها هي الدنيا التي لها نظم عجيب وما صُنع تلقائياً وما خلق عبثا بل في كل لحظة ألف ألف دابة في المحيطات و الغابات و الجبال و المدن و الدول و القرى يبحثون عن الرزق والله يرزقهم في كل حين. القمر والأرض والشمس لها شكل دقيق ومنظم تتحرك في مدارها وفي حركتها لا تجد هرج ومرج إنه الله الذي يدبر وينظم حركة الأرض وجميع السيارات والنجوم ولكل منها عين طريق (مدار) معين. وفي كل حين قلب الإنسان يرسل الدم إلى الجوارح؛ و جهاز التنفس يستنشق الهواء؛ من الواضح أنه الله الذي يراقب بقدرته حياة الإنسان وحركة القلب وأعضاء بدنه لو كانت الدنيا وُجدت مصادفةً يتكرر أي

حادث ولكانت جميع الأشياء مصادفة. إذا كانت الدنيا مصادفة كان يستطيع مع إلقاء الحجر إلى السماء يصبح صاحب طائرة طالما لا يحكم أي عقل سالم في الدنيا إذا ألقينا الحجر مليون مرة لا تصبح الطائرة ولا يرجع الطائرة بشكل تصادفي. عندما تصنع ساعة يدويا نضع أوقات كثيرة وبرامج متعددة ونفكر لكيفية صنع الساعة كيف نستطيع أن نتوقع أن هذه الأرض مع العجائب والشمس والنجوم صنع مصادفة بدون نظام ولا دقة. إذا ما كان في بدن الإنسان نظام ولا دقة كيف نتوقع أن نعيش مع البدن التصادفي؛ هذا مستحيل؛ هذه الدنيا يكون خالقها الوحيد الله سبحانه وتعالى.

دليل آخر للتفكر: من هذا الطريق نستطيع أن نصدق مواعيد الله سبحانه وتعالى' قال الله في القرآن عن عذاب قوم لوط، عاد، فرعون، ومتبعيهم وبقايا هؤلاء ويكون حتى الآن درسا وعبرة للبشر كما حقق وعد الله لهؤلاء'' إذن سيحقق باقي المواعيد الله سبحانه وتعالى''وبالتفكر في معيشتنا نستطيع أن نصدق هذا الأمر: وعد الله للناس والحب والموت ونحن نشاهد يوميا هذا الوعد للأصدقاء وللأعداء والأسر وأخيرا سيحقق لنا إذاً كما يحقق وعده لكل إنسان إذاً سيحقق باقي المواعيد إلهي.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (ابراهيم- ٥٧)

التدخل والتصرف الانسان محدود في حياته الدنيا عندما ننظر إلى جنين يكون في الرحم لا تتدخل الأم فيها بل هو الله الذي يربيه ويغذيه ويصوره وعندما يولد في الدنيا ايضاً هو الله الذي يربيه ويعلمه ويؤتيه الكمال والرشد والعقل ويرزقه في طول حياته ويبتليه وأخيرا يصل إلى مرحلة الكهولة والشيخوخة ولا يستطيع أن يفعل أو يتدخل في أموره؛ إذا كان الإنسان القادر بالتصرف ليمنع عن نفسه الكهولة أو عندما في الحادثة؛ مثلا يقطع يده كان يستطيع أن يأتي بيد جديدة وايضاً تحويل الليل والنهار وحركة السحاب يكون بأمر الله ويبس النباتات في الشتاء ونموه في الربيع ايضاً من آيات الله التي يستطيع الإنسان الكيس بالتفكر فيها أن يصل إلى تحقيق مواعيد إلهي. مسلماً جميع الكائنات من حوالينا إلى جسدنا تكون معجزة لكن مع الأسف نحن لا ننظر إلى الحوادث نظرة إيمانية أو الإعجازية ايضاً لا ينظر إلى الكشفيات الجديدة إلا نظرة الإيجازية وبعد فترة تكون لنا شيئاً عادياً.

وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الانعام- ٩٩)

ذكر الله تعالى في جميع هذه الأمور في القرآن ليعترف الإنسان بعظمته وقدرته وايضاً إلى ضعف الإنسان وسجوده لله سبحانه. الإنسان في هذه الكرة الأرضية كنملٍ وقع في كأسٍ زجاجية وكلما يسعى من أي طرف لا يستطيع أن يخرج أو يهرب؛ ايضاً الإنسان في هذه الأرض مثل هذه النملة كلما يصل إلى التطور العلمي والاكتشافات في أي نقطة من

هذه الأرض أخيراً بإذن الله يلتقي الموت ويدخل على الحياة الأخرى التي لا يوجد أي طريق للعودة أبداً. حاليا عدد سكان الأرض بصل إلى بضع مليار؛ كم عدد الذي كانوا يعيشون من قبلنا والآن ليسوا عندنا، كم عدد الناس الذين كانوا أصحاب قدرة و ثروة وكم عدد الناس الذين كانوا يفتخرون بذنوبهم مثل السرقة و الزنا و الطمع كما في زماننا؛ وبعد مائة سنة لا يوجد أحد منا في هذه الأرض. الموت يأخذ حياتنا ونلتقي جميعا إذا فكرنا قليلا نفهم أن الموت شيء يقيني وحتمي ويكون حجة كاملة لتحقيق مواعيد الآخرة لله سبحانه. كل إنسان مع تفكر بسيط بدون التعصب باستدلال عقلي يفهم المقصد الأساس من حياته. الاستدلال كالآتي: كل إنسان إما أن يكون خالقا أو مخلوقا ولا ثالث لهما؛ إذا ادعى الإنسان أنه هو الخالق إذن يجب أن يثبت خالقيته ماذا خلق من السموات والأرض؟ وإذن عليه أن يثبت هل الإنسان يستطيع أن يدير الكون وعنده القدرة على الخلقة؟ هل الإنسان يكون عنده قدرة التصرف في جسده أو خلقته؟ العقل السليم بالتفكر القليل يستطيع أن يفهم أن جواب هذه الأسئلة هو النفي، الإنسان مخلوق وعليه معرفة الخالق وعبادته ويجب أن يعمل على برنامج الهداية والسعادة إلى نهاية حياته لأن دستور العمل الخالق يكون أكمل البرنامج في هذه الحياة فقط.

سؤال للتفكر: ما ظنكم في ربكم؟ وما حقيقة الله سبحانه في ذهننا؟

وَما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (الدخان – ٣٨)

الفصل ٦: الغلوّ والإفراط الديني

من مشاكلنا اليوم الإفراط في الدين، نهانا الله سبحانه عن الغلو في الدين. انتبهوا لهذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) (المائده- ٧٦ إلى ٧٨)

بعض الناس يفكرون أن بالغلو في الدين يرفعون عظمة الدين وجذابيته للآخرين، هؤلاء الناس بالغلو في التوصيف بعض الشخصيات الصالحة مثل الأنبياء، أئمة الدين، و الصالحين يعطونهم صفات غير بشرية هؤلاء مع هذا الغلو فيهم يضعونهم في مرتبة معاون لله سبحانه وتعالى، والله بسبب محبته لهؤلاء أعطاهم تنفيذ بعض الأمور التي كانت تحت تصرفه؛ فقط كثير من الناس يفعلون هذا الغلو وليس عندهم أي غرض دنيوي لكن في الحقيقة مع هذا الفعل لا يتركون القرآن ويمثلون الدين من الخرافة، وفريق آخر من الناس يغلون في الدين والأفراد الصالح لمنفعة شخصية أو لكسب المال ويَضِلُّون ويُضِلُّونَ الآخرين لهذا نهى رسول الله عن الإفراط في حبه وقال: "لا تغلوا في حقي كما غلت النصارى في حق عيسى بن مريم إنني عبد الله فقط وقولوا عبد الله ورسوله". المشكلة الأصلية هنا أن إعطاء الصفات الإلهية للبشر أو المخلوق يصبح شركا في الله بمحبتهم يغلوا من حبهم لهؤلاء وبالنتيجة يصبح يحبونهم كما يحبون الله ومن هذا الطريق يدخلون الشرك في حياتهم، وايضاً أن يعطي لهذه الشخصيات والعلماء علم الغيب و القدرة والتدخل والتصرف في إدارة أمور الدنيا؛ انتبهوا لهذه الآيات:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) (الاعراف- ١٨٧ إلى ١٨٨)

قد يعلم الجميع كلمة الله هي العليا وربنا يقول بوضوح حتى الرسول ﷺ لا يعلم الغيب؛ في الحقيقة كان الوحي يخبره بالغيب فقط. حال اليوم إذا ادعى إنسان (بالأخص إذا كان عالماً دينياً) يعلم الغيب؛ لأن المنبع الوحيد الذي يخبر عن الغيب كان الوحي (وللمسلمين جميعا يكون القرآن) نستطيع بسهولة أن نكذبه. حال إذا كان إنسان يعتقد بكلامه هو في الضلالة وعليه تجديد أفكاره، نحن سنتكلم عن مصداق الإيمان في الفصول الآتية لكن هل سمعتم بالعيون البرزخية؟ هؤلاء يدعون أنهم يعلمون أفكار وضمير الآخرين ودرجة التقوى والإيمان عند الآخرين وعلى حسب درجة التقوى يرون الآخرين بأشكال مختلفة مثل خنزير، غنم، بقر، علماً ما يدعي هؤلاء يقولون يكون لأجل التقوى العالي والتقرب إلى الله تعالى، هل تسمع الأحاديث التي تبين صفات غير بشري مثل عين برزخية عن عاقبة الآخرين. نزل هذه الآية خطاباً للنبي في المنافقين.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) (محمد- ٢٩ إلى ٣١)

في آية ٣٠ قال للنبي ﷺ: لو نشاء لأريناك المنافقين لتعرفهم بسيماهم [ليكن ما فعلنا]. مع هذا تستطيع أن تعرفهم عن طريق أعمالهم وأقوالهم [من طريق مراقبة في أعمالهم الظاهر لا تعرفهم عن باطنهم]. وايضاً أكد الله سبحانه هذا المقولة عندما يخاطب الرسول ﷺ الذي هو يكون أحسن البشر عند الله أنت لا تدري عن أحوال باطن الآخرين. إذ ما هي حكم هؤلاء الذين ادعى الكذب أو قائلون للأنبياء والأئمة صفات غير بشرية لا جزاء إلا الحسرة.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) (التوبه- ٦٣ إلى ٦٥)

علينا عندما واجهنا أي مطلب أو حديث نواجهه مع القرآن إذا أيده القرآن نقبل وغير هذا نتركه بالجرأة أو نبدله بالآيات القرآنية، وايضاً نسمع من الذين يدعون العلم بالأرواح بعد الموت -الذي وصل إلى البشر عن طريق الوحي فقط-. قال الله تعالى:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا (٨٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا (٨٥) وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلا (٨٦) (الإسراء - ٨٤ إلى ٨٦)

مع الأسف هؤلاء ليس فقط في بلدنا بل يجتهدون في معظم البلاد ويصورون للناس عن الحياة بعد الموت والجزئيات أول ليلة القبر وعذاب القبر والحياة بعد الموت....وينشرون الكتب والنوطات، مهمتنا هي ان نعرضها بالقرآن إذا أيدها القرآن نقبل وإلا نرفضها.

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (الانعام – ٥٩)

الفصل ٧: مفتاح فهم التوحيد

الله في مقابل دون الله

عرف الله نفسه في القرآن المجيد باسم الله والرب وعرف جميع المخلوقات من الإنس و الجن و الملائكة و الكون و ماوراء الطبيعة ... بغير الله. جاء في القرآن دون الله ٧١ مرة وايضاً كلمة دونه ٣٧ مرة وكلمة غير الله ١٧ مرة وكلمة دون الرحمن جاءت مرتين وكلمة دون جاءت ثلاث مرات،تميز بين كلمة الله ودون الله في القرآن لها أهمية كبرى وهذه لا تقبل الاستثناء، أراد القرآن من الناس التفكر في صفاتهما. جاء في القرآن أنّ «دون الله» ليس له قدرة علم الغيب ليطلع بعلمه هذا علي جميع الأماكن في جميع الأزمان؛ ولا هو قاهر ولا محيط لكل شيء حتى يكون مع الناس في كل زمان و مكان، هذه صفات يختص بها الله فقط دون غيره، هو الله الخالق الرازق يحيي ويميت وهو القادر في التصرف بالكون. هذا و مع الأسف الشديد وردت في كثير من التفاسير كلمة «دون الله» بمعنى الصنم وهذا تفسير ناقص؛ يذهب بعقل الإنسان إلي وادي الضلال فيقع بذلك في أنواع الشرك زاعما بأنه لا يدعو الصنم و لا يقسم بالصنم و لا ينذر للصنم، و الحقيقة القرآنية الإلهية هي أن الله اختص جميع هذه الأمور لنفسه و نبّهنا بأن من جعل أمرا من هذه الأمور لغير الله فلا شك أنه وقع في الشرك، و هذا ورد بكثرة في القرآن الكريم و ناهيك عن جميع الآيات القرآنيه في ذلك، ما ذكرناه ههنا لك، أيها القرّاء الأعزّاء، فانتبهوا لهذا الشكل!

الله (رب، خالق)

دون الله (مخلوق):

جميع مخلوقات الكون، الملائكة، الجن، الأرض وما عليها، جميع البشر من الأنبياء و الصالحين و الناس عامة، الجنة والجحيم، و أي مخلوق آخر يعرفها الإنسان أو لا يعرفها.

إذاً دون الله ليس فقط الصنم ويشمل جميع المخلوق التي لا يسع في ذهن البشر، في زمن النبي ﷺ عندما كان ينزل القرآن كانوا في الدنيا المشركين، عباد النار، عباد الشمس عباد النجوم...ويشمل القرآن جميعهم وليس خطاب القرآن فقط لعباد الصنم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (لقمان- ١٠ و ١١)

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الاية ومواضيع عدة في القرآن على ضعف دون الله. الله هو الخالق ودون الله هو المخلوق، الحياة و الموت دون الله يكون في يد الله فقط الملك المطلق في يد الله سبحانه:

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا (الفرقان- ٢و٣)

الله هو الواحد في ذاته وصفاته لا شريك له في الذات والصفات، أي مخلوق آخر مثل جن إنس، ملائكة... ولا يختص لهم الصفات الإلهية، لا يوجد أحد حي ولا ميت أن يدعي صفة من صفات الله سبحانه مثل بصير، سميع، لطيف... هذا هو التوحيد وما سواه كفر و شرك، ربنا الواحد في صفاته و ذاته ولا شريك له.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) (سورة اخلاص)

سؤال للتفكر: كل واحد من موارد الذيل يشتمل تحت أي فريق، الله أم دون الله؟
١ جهنم ٢ الشمس ٣ أنت ٤ رسول الله ﷺ ٥ الإنسان الصالح ٦ شيطان ٧ الحيوانات والأشجار ٨ جبريل ٩ تفكرات الإنسان ١٠ غريزة البشري ١١ الأنبياء و الأئمة و الشيوخ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء – ٨٢)

الفصل ٨: التوحيد في الدعاء والطلب

من هنا يبدأ القسم الأساسي: لو خطر ببالكم حين القراءة سؤال، لطفًا تابعوا المطلب لأنكم ستجدون جواباً لأسئلتكم في الفصول الآتية، و القرآن الكريم بعد توصيف صفات الله مثل الواحد، الرزاق، الخالق، المالك، الرب و الولي... يخاطب الإنسان ويقول: إذا آمنتم بالله وحده وبصفاته لماذا لا تدعونه فقط و تتوسلون به وحده؟ لماذا لا تعبدونه فقط؟ القرآن طلب من الإنسان أن يعبد الله وحده و لايشرك به شيئا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠) (يوسف- ٣٩ إلى ٤٠)

ايضاً ترى في الآيات التالية أن الله سبحانه وتعالى يختص العبادة لنفسه وأراد من البشر أن يعبدوه، كلما أرسل نبياً ورسولا كان أول خطوة الرسول دعوة إلى عبادة الله سبحانه،اعبد الله فقط ولم يطلب من الناس أن يعبدوه بل قال: وأنا معكم ونحن جميعا نعبد الله سبحانه.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) (يونس- ١٠٣ إلى ١٠٥)

وايضاً:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران- ٦٤)

في الفصول الماضية بيّنا مصداق العبادة، المسألة المهم جدا هنا؛ أن الله سبحانه وتعالى في القرآن ما اكتفى بالعبادة فقط بل في آيات كثيرة طلب من الناس بعد العبادات الخالصة لله أعمال مثل: الدعاء، الطلب، المدد، الحاجة فقط يختص لله سبحانه. دقق بكلمة (تدع).

وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) (يونس- ١٠٦ إلى ١٠٧)

ايضاً:

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) (الجن- ١٨ و ١٩)

** نكتة: تعبدون من جذر عبد بمعنى التسليم و الطاعة. تدعو من جذر دعو بمعنى الطلب والدعاء لجلب المنفعة أو دفع المضرة.

قال رسول الله ﷺ: ((الدعاء هو العبادة)) يعني الدعاء عين العبادة جاءت في آيات متعددة أمر الله الناس في كل حاجات الحياة مثل طلب الشفاء من مرض الدعاء للنجاح في الاختبار، طلب الفوز والفرج في الأعمال ليريد من الله فقط. هذا الأمر يكون مباشرة بدون أي واسطة من البشر، مع الأسف كان في مجتمعنا ترك القرآن والناس يلعبون بعقيدتهم من طرف بعض المتمردين عكس هذا الأمر، الناس عندما يدعون لا يدعون الله مباشرة بل يدعونه من طريق المخلوقات هذا هو المشكل الذي بعث النبي ﷺ ليزيل هذا المشكل، انظروا هذه الآيات ربنا بهذه الآيات يتم الحجة للناس:

وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (غافر- ٦٠)

دققوا بكلمة (ادعوني) في الآية الماضية أراد الله من الناس بشكل واضح لإجابة الدعاء، ادع الله فقط وما ورد في القرآن أي أمر أن يدعو الناس عند مخلوق آخر. ايضاً:

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) (الزمر- ٣٦ و ٣٧)

كثير من الناس يخافون من قدرة وغضب غير الله (الأنبياء، الأئمة، الشيوخ) ولا يقبلون الدعاء من الله فقط، هل تعلمون ماذا قال الله سبحانه في هذه المسألة؟

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) (فاطر- ١٣ إلى ١٥)

في هذه الآية المذكورة فكروا جيدا سنوضح كاملا في الفصل الآتي.

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص – ٨٨)

الفصل ٩: الشرك في المجتمع

تكّررت الآية السابقة ونفهم حقيقتها في القرآن نفسه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)

(فاطر- ١٣ إلى ١٥)

الله جل جلاله بعد بيان عظمته في بداية الآية يقول "لَهُ الْمُلْكُ" يعني تملك الكائنات في يده وهو يتدخل في أمر المخلوقات لا يدعي أحد لنفسه الملك لأن جميع التملكات في الدنيا يكون نسبيا أو وضعيا لا يدعي أحد أنه مالك حقيقي لبدنه؛ مثلا إذا أخذ رِجله في حادثة ما هل يستطيع أن يصنع لنفسه رجلا جديدة أو هل يستطيع أن يمنع الكهولة عن نفسه هل يستطيع أن يمنع عن تغير لون شعره لا بل كل شيء في الدنيا يكون عارية وقرضا عندنا وعند الموت يأخذون منا وكل إنسان يسأل مقابل نعم الله سبحانه ويؤاخذه. ويقول في القسم الثاني من الآية: "وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ" يعني غير الله لا يملكون الخيط البسيط الذي يكون في وسط التمرة، دققوا جملة (تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) الذي لا يملك شيئا لا يستطيع أن يحقق مطالب الآخرين، نفترض أن زيد يطلب عمرو مائة دولار ويعلم أن أحمد لا يملك شيئا مع هذا يصرّ أن يأخذ من عمرو دولارا حال إذا رأى فرد ثالث هذه الواقعة يقول بجهالة وسفاهة زيد لأنه يقول زيد يطلب من الذي لا يملك شيئا. ويقول ربنا تبارك وتعالى في قسم آخر من الآية: "إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ" يعني إن تدعوا من دون الله (لا يتفاوت معكم إذ تدعوهم أو تجعلونهم واسطة أو تطلبوا منهم أن يطلبوا من الله) هؤلاء أصلا ليسوا قادرين على سماع دعائكم ولو يسمعوا لا يقدرون على الإجابة (مثل نبيين، ائمه، شيوخ، صالحين و ...). وبعد هذا يخوّفون من أمرين "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ".

الأمر الأول (إخطار الأول).

هذا العمل يعني طلب دون الله يكون شركا، لكن مع الأسف بسبب ترك القرآن وترويج التقليد مكان التفكير لا يسمعون لبيان هذه المفاهيم.

الأمر الثاني (الإخطار الثاني).

يوم القيامة الذين كان الناس يدعونهم من دون الله أو مع الله ينكرون هذه الأعمال من هؤلاء الدعاة الدعاء والعبادة وطلب الحاجة الناس إليهم لأن هذه الصفة خاصة بالله سبحانه الذي أحاط بكل شيء علما وفقط هو الله الذي يستجيب دعاء أحمد في مشهد ورضا في طهران واليس في نيويورك ورابرت في لندن وهو السميع البصير وهذان الصفتان يكونا مختص لله سبحانه.

أكثر الناس يعتقدون أن الصالحين والأنبياء والأئمة الذين ماتوا هم أحياء في قبورهم يقدرون في كل زمان ومكان أن يسمعوا حاجات الناس ويجيبونهم بقدرة الله وهذا لا يعني أن لهم صفات مثل صفات الله سبحانه فهو (بصير) يرى العباد في أي حال (سميع) يسمع صوت الناس في أي مكان (لطيف) لا يحجب عن الله شيء (خبير) يعلم أحوال العباد؛ هذه الصفات تختص بالله سبحانه لو نجعل للمخلوقين هذه الصفات كما هي لله نكون جعلنا لله شريكا.

((وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)) هو الله يخبرك عن حقيقة المسائل عندما يقرأ هذه الآية لبعض الناس يؤلون ويأتون بالتوجيهات لأعمالهم اليومية ويبعدون الناس عن الحقائق ويفسرون كما يريدون. علينا أن نقبل كلام الله فقط، لأن هذا هو الله يخبرنا عن حقائق هذه المسائل وفقط هو الذي بّين لنا حقيقة القيامة و حال العابد والمعبود في هذا اليوم وبين الله مرة ثانية أن جميع الناس يحتاجون لله يوم القيامة والمحتاج لا يستطيع أن يطلب من المحتاج، الله هو الصمد الغني وتم الحجة على الناس في آية التالية:

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الاعراف-١٩٤)

سمى الله جميع المخلوقات بعبد وما فوض أمر من أمور الغيب إليهم، من نظرة الإسلام جميع الناس سواسية ولا يرجح أحد على أحد و يرجحون الناس على حسب التقوى وهذا أمر باطني والله اعلم. وقال النبي ﷺ "الناس مثل أسنان المشط". أمر الله الناس أن يؤمنوا بالله وحده ويدعوا الله وحده و أن لا يدعوا غير الله ولا يواسطوا غير الله ولا يعظموا غير الله. انظروا إلى آية التالية:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) (حجرات- ١٣)

وايضاً:

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) (الحج- ٧٢ إلى ٧٤)

في هذه الآية أكد على ضعف غير الله و في انتهاء الآية جاء أنّ الطالب (و هو الذي يدعو غير الله) والمطلوب (و هو المدعوّ من دون الله) كلاهما ضعيفان جدا و الله هو القادر وهو الذي أمر الناس أن يدعوه في اليسر والعسر و أن يتوكلوا عليه.

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا (٥٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) (الفرقان- ٥٧ إلى ٥٩)

جميع المخلوقات وُجدوا من العدم وفقط هو الله كان ويكون وكل إنسان يذوق طعم الموت وهو الوحيد لا يموت فتوكلوا عليه.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (الزمر – ٣٨)

الفصل ١٠: الشرك في العبادة بالواسطة

حصول فكرة توحيدية قوية يحتاج إلى إدراك تفاوت بين الخالق والمخلوق، وهذا الفرق بسيط جدا، لكن المغرضين لايريدون أن يفهموا هذا المفهوم البسيط. انتبهوا إلى هذه الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) (الاحقاف- ٤ إلى ٦)

ذكر الله سبحانه وتعالى في بداية هذه الآية مكررا أن غير الله لا يقدر على أن يخلق، بل نفسه مخلوق، ولا يوجد في الكتب السماوية ولا في الكتب العلمية دليل على شراكة دون الله في الخلق، قيل في هذه الآية الكريمة كلما يدعون من غير الله لا يستجيب إلى يوم القيامة و في ذاك الوقت أي في القيامة ينكرون شرك هؤلاء بل يكذبونهم ويقولون نحن كنا في الدنيا نعبد الله فقط و نطلب الحاجة منه طالما أنتم تدعوننا حيث كنا مخلوقين، لهذا نحن الآن عدوكم ولأننا كنا في الدنيا موحدين و إنكم كنتم أعداء الله بسبب شرككم به ما لم يأذن به، فإذن طريقكم وطريقنا مختلفان.

أوردنا في الفصول الماضية أنّ دون الله لا يملك ذرة من الكائنات، كما ذكرنا أنّ العبادة والدعاء خاص بالله تعالى فإذا دعونا وعبدنا غير الله فقد أشركنا قطعا، و الله تعالي ربنا بيّن كلامه في هذا الأمر بصراحة ولم يترك مجالا للتعليق عليه؛ لكن مع هذا بعض الناس يقولون: إننا سلّمنا أنّه لا يجوز أن ندعو غير الله بل هو الله الذي جدير بأن ترفع إليه الحاجات ويسمع النداء لكن مع هذا نستطيع أن نجعل بيننا و بين الله واسطة كالأنبياء و الأئمة و الصالحين... يعني نحن نعرض حاجاتنا إليهم حتى هم يعرضوا حاجاتنا على الله. نستطيع أن نعرض دلائل كثيرة، و في مقابل هذا التوجيه و ردّ هذا التأويل:

أولا: العرب قبل الرسول كانوا يتفكرون بهذا وكانوا يدعون من الأنبياء إبراهيم و إسماعيل و الملائكة أن يعرضوا حاجاتهم عند الله وهم يفكرون أن الملائكة والأنبياء بدليل العصمة يقدرون أن يقربهم عند الله. ثانيا: عندما نحن ندعو من دون الله لرفع حاجاتنا عند الله هذا يكون هو مصداق الدعاء والطلب من دون الله، كأن ندعو من دون الله أن يسمعوا حاجاتنا ويعرضوا عند الله لرفع حاجاتنا. الله جل جلاله ما أمرنا ولو في آية واحدة أن ندعوه من طريق الواسطة؛ هذه المفاهيم كلها نشأت من أذهاننا. ايضاً إذا كان للإنسان ذنوب كثيرة ومستخجل ليعلم أن الله أقرب له من جميع الكائنات. عندما نعترف بالواسطة فهذا يعني أن الله بدون الواسطة لا يسمعنا ولا يسمع ذنوبنا و لا يتسع المجال عنده لقبول حاجات العباد مباشرة؛ و لنعلم جميعا أن الإنسان حتى إذا أسرف في الذنوب و المعاصي بأنّ باب التوبة إلي الله و الإنابة إليه مفتوح أمامه وهو الله يغفر الذنوب فقط.

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) (الزمر- ٥٣ إلى ٥٤)

انظروا إلى التصوير التالي وفكروا في هذا السؤال، هل يصحّ أن نأخذ الإيمان والعقيدة من مرجع غير القرآن؟

<table>
<tr>
<td>

طريق التوحيد في القرآن

مخلوق يدعو الله تعالى مباشرة لرفع الحاجة

وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (الغافر – ٦٠)

</td>
<td>

شرک

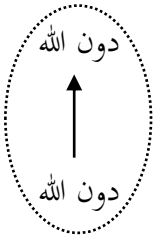

مخلوق يدعو المخلوق لرفع الحاجة

وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (يونس – ١٠٦)

</td>
</tr>
<tr>
<td>

شرک

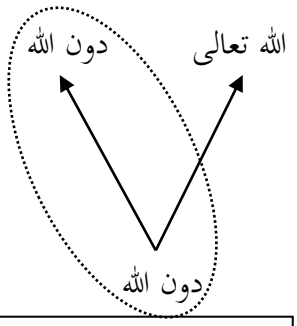

مخلوق في جنب الله يدعو من المخلوق

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (الشعراء – ٢١٣)

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (الجن – ١٨)

لَّا تَجْعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (الاسراء – ٢٢)

</td>
<td>

شرک

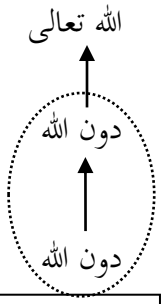

مخلوق يطلب من مخلوق آخر يعرض حاجته للخالق

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... (الزمر – ٣)

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ... (الفاطر – ١٤)

</td>
</tr>
</table>

الفصل ١١: الخطر العظيم للشرك

رأينا في الآيات المذكورة أن الطلب من دون الله، شرك. العبادة و الدعاء و النداء من المخلوقات شرك لا فرق بين أن يدعو غير الله مباشرة أو يدعو الله بشكل غير مباشر ولم يستثن الله شيئا في هذا الموضوع. للتأكيد نأتي بآية أخرى ونريد منكم أن تدققوا في هاتين الكلمتين «تعبدون وتدعون».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) (مريم- ٤٧ إلى ٤٩)

دققوا ليس الشرك فقط أن يشرك بالله في خلق السموات والأرض؛ بل هناك نوع آخر من الشرك و هو أننا إذا جعلنا بيننا وبين الله واسطة من العبادة والدعاء أشركنا بالله. فإذن تعتبر جميع الحالات التالية شركا: أن يتصوّر الإنسان إلها مقابلا لله الواحد. أن يتصور أن لله أقارب ذو أرحام. أن يتصور أنه يستطيع أن يطلب من المخلوقات مكان الله الخالق القادر. أن يتصور واسطة من المخلوقات لعبادته ودعائه. أن يتصوّر المخلوقات لأجل الثواب والقرب إلى الله تعالى بأنهم عون لله سبحانه لتنفيذ بعض الأوامر. أن يشرك بالله في صفاته الخاصة به. انتبهوا إلي هذه الآية:

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) (الانعام- ٤٠ إلى ٤٢)

فكّر في أنه جاء حادث مثل الزلزال أو سيل أو التفجير، فهناك تدعو النجاة من الله أم من الأنبياء، تدعو من الله أم من الأئمة، تدعو من الله أم من الشيوخ والصالحين؟ لو طلبتَ من الله فأنت موحد وإلا فمشرك. كما قلنا في الفصول السابقة كان العرب في الجاهليه يشركون بالله ولم يكونوا متفاوتين عنّا في الشكل و العيش بل كانوا مثلنا يعيشون ويقبلون الله كخالق،كانوا يصنعون أصناما من الحجر و الخشب بشكل أفراد الصالح مثل إبراهيم و إسماعيل ويعبدونها كواسطة، و الفرق في أن الأحجار العمودية باسم الأصنام في ذاك الوقت صارت أحجارا أفقية باسم الصالحين في القبور اليوم، فلذلك علينا أن نعلم أنّ الشرك يدخل في حياتنا بشكل خفي؛ كم من المسلمين يتصورون أنهم مؤمنون لكن أعمالهم يّبين الشرك في عقيدتهم. قال الله:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧) (يوسف – ١٠٦ و ١٠٧)

قال رسول الله ﷺ: "دخول الشرك في أمتي تكون أسهل من مشي النمل السوداء على حجر سوداء في الليل"، أحسن طريق لمواجهة هذا المشكل أن نغربل عقيدتنا بالقرآن لذلك نوصيكم إذا سمعتم أي كلام في أي لباس ولو لباس أهل

الدين أن تقابلوه بالقرآن لأننا يوم القيامة نستطيع أن نعرف القرآن بالمرجع العقيدة والإيمان؛ ولا نستطيع أن نرجع إلى قول فلان عالم... هذا و أن الأكاذيب والأحاديث المجعولة تزداد يوما بعد يوم؛ والطريق الوحيد لمعرفة الأقوال الصحيحة مقارنتها بالقرآن فإن وافقته قبلناها و إلا رددناها لأن القرآن الكتاب الوحيد المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه فهو ميزان إلهي معتبر و لا ريب فيكون الخريط الوحيد لهداية الطالب للحق و بهذا نستطيع أن نحذف الأحاديث المجعلولة و الروايات الخرافية عن حياتنا بسهولة معتمدين علي القرآن. دقق في شكل التالي:

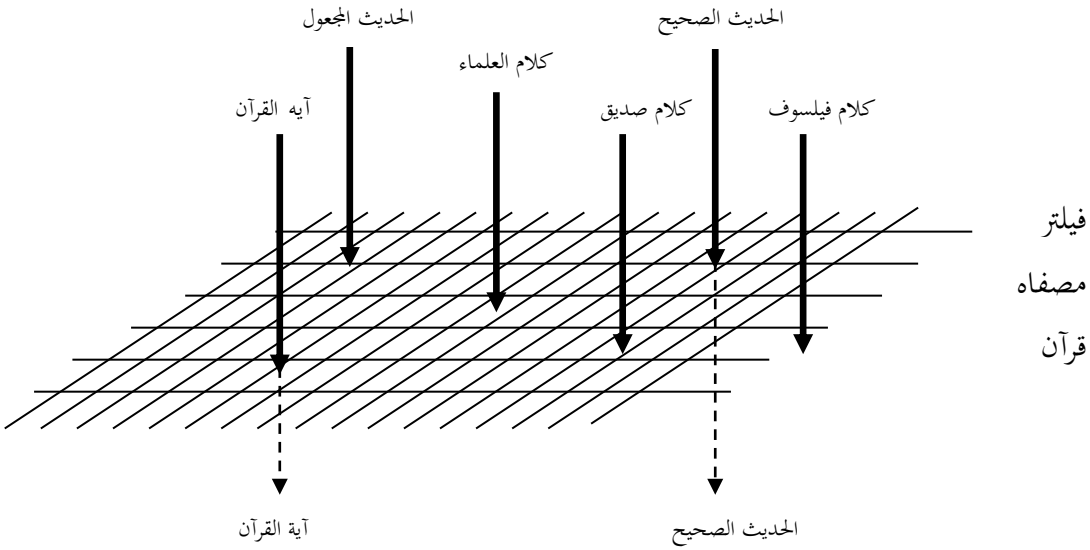

في هذا القسم نبحث عن خطر الشرك انتبهوا لهذه الآية:

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) (الزمر– ٦٤ إلى ٦٦)

في هذه الآية خاطب الله الرسول مع احترام الرسول عند الله يهدده قائلا: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ»؛ اليوم كثير من الناس يساعدون الجميعات الخيرية... لكن إذا لم تصح عقيدتهم لا تقبل أعمالهم إذن العقيدة تكون مهم جداً في قرآن الكريم؛ دقق الآية التالية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا (٤٩) (النساء– ٤٧ إلى ٤٩)

و ايضاً:

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) (لقمان- ١٢ إلى ١٤)

و ايضاً:

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) (غافر- ٨٣ إلى ٨٥)

قال الله سبحانه وتعالى في الآية المذكورة عندما جاءت الآيات المبينات للمضلين والضالين في الدين قالوا نحن نعلم الدين وكثير من الناس يتبعونا لكن يوم القيامة لا ينفعون لأنفسهم ولا للذين أضلّوهم، ذكر الله في هذه الآية أنّ علي الإنسان أن لا يشرك به حتى بقدر رأس الإبرة:

وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) (الحج. ٢٦)

رأينا في الآية المذكورة أن لا نشرك بالله بقدر ذرة والذين يشركون ويكفرون بالله بالعلم أو بدون العلم يكونون مجرمين و سيحبط الله أعمالهم التي عملوا في الدنيا، انتبهوا إلي هذه الآية:

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا (٢٤) (الفرقان- ٢٢ إلى ٢٤)

مع وجود هذه الآيات الكثيرة المذكورة والآيات التي لم تذكر ههنا لضيق المجال ومع كل التنبيهات، هل نستعدّ بأن نجعل من جميع العمر ساعة نفكّر فيها بالهدف الأصلي من خلقتنا و من المقصود من مجيئنا إلي هذه الدنيا و إلي أين مصيرنا؟

الفصل ١٢: خطر التقليد

في هذا الفصل نبحث عن الأدلة التي جاء بها المقلدون في العقيدة والإيمان. النقطة المهمة هنا أن هذه الأدلة تشبه أدلة الأقوام التي جاء وصفهم في القرآن، قبل التحقيق الدقيق نكرر أنّ العقيدةَ و الإيمان تتعلقان بالشخص ذاته ولا يحق لأحد أن يفكر في إيمان الآخرين. يجب على كل إنسان أن يتفكر في القران والعقل ولا يقلّد الآباء و الأجداد في الوصول الي العقيدة الصحيحة، فإن تقليد أفكار الآخرين في هذه القضية لا قيمة لها عندنا ولا يعتبر مرجعاً يوم القيامة. إذن فتحقق معنا هذه القضية خطوة خطوة. في كثير من المسائل عندما نقرأ القرآن على الناس أو نقول لهم إقرؤا القرآن حتى تتركوا ماسوى الله؛ الجواب الوحيد عندهم يقولون نحن نرضى بما عندنا ونحن نعمل العمل الذي يعمل به مجتمعنا. "اذا تريد أن لا تفضح كن مثل المجتمع". هم لا يعلمون أن ابراهيم (ع) كان يعيش في مثل هذا المجتمع وآمن وحد الله وترك الشرك و الخرافات لوحده عن طريق التفكر العقلي في الآفاق والأنفس وأثبت وجود الخالق و لهذا جعل الله سيدنا ابراهيم أسوةً للتوحيد في قرآنه العظيم.

من الواضح أن الذين يرضون بالخرافات الرائجة عند الناس لا يهتدون لكن مع هذا فكثيرٌ منهم وصلوا بالأسئلة المتناقضة في الدين وفهموا أن الدين الذيُ يعرض عليهم فيه مشاكل، مع العلم بهذا أن الجميع يعلمون أن الدين الذي يروج عن طريق الاذاعة و التلفاز و المنابر ليس الدين الحقيقي هذا الدين ليس للذي يتبعه إلا الشقاوة و الندامة، لكن المشكلة هنا: علموا ان الدين المعروض عليهم و المشوبة بالخرافات المنافية للعقل السليم ليس هو الدين الحقيقي و مع هذا يقلدون ولا يبحثون عن الايمان الخالص؛ إقرأوا هذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٢٢) (لقمان– ٢١ إلى ٢٢)

توجيه آخر في مجتمعنا: يقولون نحن نؤمن أنّ غير الله لايرزق ولا يخلق وايضاً لاندعو الشيوخ والأئمة والأولياء مباشرة بل هؤلاء وسيلة لاجابة الدعاء عند الله وفي التقرب منهم نحن نكون في الأمن من الخوف والمصائب وندعو الله بواسطةٍ لكي يستجيب دعواتنا. ودليلهم أن هؤلاء مقربون عند الله. وايضاً هم يقولون نحن نعلم أن هؤلاء لايرفعون الحوائج بل الله يرفع الحاجات بواسطة هؤلاء المقربين. فانتبهوا إلي هذه الآية التي كانت استدلال المشركين:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) (الزمر– ٢ إلى ٤)

هذا هو الدليل الذي يستدل به الناس اليوم لجعل الواسطة من دون الله. من الواضح ماسمح الله لأحد في القرآن أن يكون واسطة بينه وبين العباد. وهذا الاستدلال الذي يأخذون اليوم كذب وافتراء على الله. والله لايحب الكافرين والكاذبين. و الآيات القرآنية في هذا الموضوع واضحة جداً، والطالب الحقيقي يستطيع أن يترك الشرك والخرافات الموجودة في حياته بسهولة كاملة. قال الله سبحانه "أدعوني أستجب لكم "ولم يقل "أدعو النبي استجيب لكم" ولم يقل ادعو الصالحين أستجب لكم. لكن مع الأسف المرير هذه الظاهرة تشاهد في مجتمعنا اليوم، و هذا باطل و بطلانه ظاهر، لأن الإنسان عليه أن يشكر من أنعم عليه لا غيره، و غير ذلك غير معقول عرفا و عقلا، فمثلاً يساعدك أحمد وأنت تشكر محمد. انظروا كم أنعم الله علينا من النعم التي لاتعد و نحن بدل العبادة والشكر لله ندعو غير الله. وايضاً هناك بعض الناس يقولون: إنّ ذنوبنا كثيرة ولا نستطيع أن ندعو الله ونطلبه مباشرة لذا يجب أن نتوسل إلى إنسان مقرب وصالح ليُستجاب دعواتنا ولهذا لا ندعو الله مباشرةً. انتبهوا لهذه الآية:

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) (الزمر– ٥٢ إلى ٥٥)

قال الله تعالى في هذه الآية: ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم بالإفراط في المعاصي والإكثار منها. لا تيأسوا من مغفرة الله تعالى مادام باب التوبة مفتوحاً. ارجعوا إلى ربكم بفعل الطاعات وترك المعاصي وأخلصوا العمل له؛ لاتحتاج إلى واسطة و دون الله. كثير من الناس يغضبون بقراءة هذه النوطة لأن الخرافات رسّخت في أفكارهم، والشباب منهم يتركون الخرافات سهلا لأن الأفراد المسن عاشوا طويلاً معها ويحبونها مثل أبنائهم. الانسان القوى هو الذي عندما يواجه الحقيقة القرآنية ولو آية واحدة كسيدنا ابراهيم عليه السلام ليذبح رأس الافكار الخرافية بأمر الله سبحانه وتعالى. المسألة الأخرى التي تلتفت النظر في مجتمعتنا هي أنّ بعض الناس يأخذون الاولياء المقربين شفعاء لهم ليوم القيامة. عندما يقال لهم لماذا اعتمدوا على غير الله و لماذا يدعو الحاجة والشفاء عن غير الله؟ و لماذا يواسطوا غير الله؟ يقولون نحن نعتمد علي هؤلاء المقربين (الأنبياء و الأئمة و الشهداء و ...) حتى يكونوا شفعاء لنا يوم القيامة ويشفعون لنا عند الله. فأجابهم الله تعالى بهذه الآية الكريمة:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) (يونس– ١٧ إلى ١٩)

جاء في هذه الآية أن غير الله لا يضرهم إن لم يعبدوه ولا ينفعهم إن عبدوه. لأنه جمادات لا تضر ولا تنفع ويوضح في هذه الآية وآيات كثيرة أن الله لم ينعقد مثل هذه العقد مع عباده وما ورد في أي كتب من الكتب السماوية، جَعلُ

الشفيع قبل القيامة في الدنيا، هذا مثل كثير من المفاهيم الذي ذكرنا من قبل يكون انتاج أذهان الناس الذين عندما نتكلم معهم عن التفكر في القرآن لا يتفكرون من إيمانهم وعقيدتهم بل يسمحون للآخرين (علماء دين...) أن يفكروا مكانهم مع ترجيح كلامهم على كلام الله. و في هذه الآية يوضح الله لنا أنه لم يجعل شفعاء في الدنيا ليمهّد سبيل الشرك للعباد بهم، و لا شك أنّ ما خرقوا من هذه المفاهيم المغوية إنما هي كذب و افتراء علي الله تعالي و سبحانه و تعالي عما يقولون علوّا كبيرا. انظروا أن القرآن لم يرفض الشفاعة الصحيحة بل الشفاعة التي ياخذون هؤلاء يعتبره شركاً فدققوا في هذه الآية:

قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) (الانعام- ٥٠ إلى ٥١)

نزلت الآية المذكورة لتخوف المؤمنين والمتقين، اقرؤوا هذه الآية بالتفكير:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) (الانعام- ٩٣ إلى ٩٥)

جاء في هذه الآية حال الذين يفترون على الله كذباً بدون علم او بعلمٍ؛ الكذب الذي لم يقله الله و لم يأذن به؛ لكن المقلدين في الدين عندما يعرض عليهم الإيمان الصحيح والعقيدة الصحيحة من القرآن يرفضون ولا يقبلون و يقولون: إنّ العمل الذي نحن نعمل يكون مطابقاً لعمل علمائنا فهو مقبول عند الله بلا شك. و هؤلاء عندما يقرؤون القرآن و يجدون بعض ما فيه مخالفا لما يعتقدون به، بدل أن يتركوا معتقداتهم الباطلة يقومون بتأويل الآيات و تفسيرها علي أساس معتقداتهم و هذا إن دلّ علي شيء فإنه يدل علي استكبارهم و عدم تواضعهم للحق و لأمر الله سبحانه و تعالي، و أحيانا إن لم يؤوّلوا الآيات بقولهم: إن الله أرحم الراحيمن، يضعون الضماد علي مواضع الجراح بدل أن يعالجوها فبذلك يخادعون الناس و يخدعون أنفسهم، ونسوا أنه كلما جاء الرحمة في القرآن رافقه العذاب ايضاً؛ ووضح الله سبحانه وتعالى أن كل شخص مسؤول عن أعماله فقط ولا يوجد شفيع معيّن قبل يوم القيامة. دققوا في هذه الآية:

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) (مريم- ٩٣ إلى ٩٥)

نسألكم: في هذه الآية "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" التي نقراها كل يوم في صلواتنا، تفكروا؛ هل المسلم الذي يقرأ هذه الآية ويكررها يفهم ماذا يقول؟ هل يتكلم مع الله الخالق أم يتكلم مع الحيطان؟

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (الاحقاف – ٢٨)

الفصل ١٣ : الشفاعة والتوسل

كما علمنا أن الشفاعة موجودة في الدين؛ ليكن ليس هذه الشفاعة بمعناها التي تكون في أذهان الناس. الناس اليوم في مجتمعنا يأخذون الشفعاء من دون الله قبل يوم القيامة، هؤلاء الشفعاء من الأنبياء و الشهداء و الأئمة وحتى من موتاهم طالما بيّن أن الشفاعة في يوم القيامة تكون بإذن الله و يتعلق بأمورٍ خاصة ولا في الدنيا وبإذن الناس وطلب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) (البقره- ٢٥٤ إلى ٢٥٥)

انتبهوا إلي هذه التصوير المرسومة. الشفاعة الصحيحة في الآخرة تكون بإذن الله إذا جعلنا الشفيع في الدنيا من الصالحين فقد أشركنا. الناس اليوم عكسوا القاعدة بدل أن يفكروا لتصحيح العقيدة كما جاء في القرآن الكريم يأخذون الشفيع دون الله حتى يتامنوا عن الحساب والكتاب في الآخرة. و الحقيقة أن القرآن أمر الناس أن يستعملوا الوسيلة للتقرب إلي الله سبحانه و تعالي، لكن الوسيلة هي التي ذكرها الله تعالى في القرآن لا ما أحدثوها أذهان الناس ظنا بغير علم و من هذه الوسائل الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج والجهاد و برّ الوالدين و الإنفاق في سبيل الله والعمل بالقرآن.

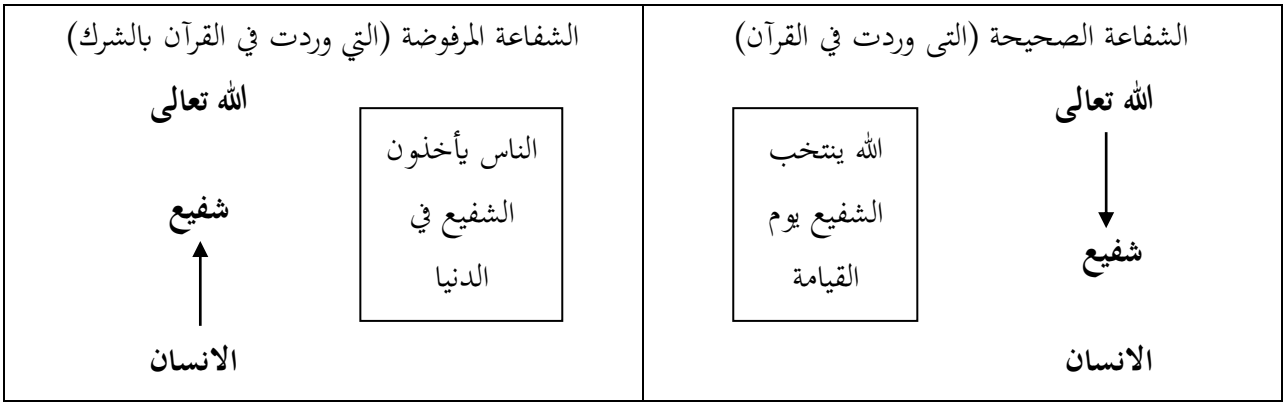

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) (المائده- ٣٥)

جاء في الآية المذكورة أن اتقوا الله بالتزام شرائعه وأحكامه واطلبوا مايتوسل به إلى رضاه تعالى وهو العمل الصالح. والوسيلة: القربة والجهاد وإعلاء كلمة الدين. لتفوزوا بالنجاة والجنة عندما أخذ العباد دون الله للشفاعة بنيّة التقرب إلى الله عكست القضية وأصبح العبد بعيداً عن الله وجائت هذه القضية بوضوح في هذه الآية:

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) (الاسراء- ٥٦ إلى ٥٧)

المسألة الثانية تكون في قضية الشفاء من غير الله. من المحتمل أنك قابلت الذين يقولون؛ هذا صحيح أن الله يرفض الشفاء من دون الله لكننا نستشفى من الأنبياء والأئمة يوميا. الجواب كالتالي: أولاً، هناك قولان، قول الله سبحانه والآخر قول الذين قالوا نحن نستشفي من الأئمة والأنبياء. إذاً أنت تختار أحد القولين. دقق في هذه الآية:

وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) (يونس- ١٠٦ إلى ١٠٨)

ثانياً، الذين يستشفون من غير الله ليعلموا أن هذه الشفاء من الله وعيّن الله لنا في القرآن طريقين. طريق الصحيح والتوحيد والآخر طريق الخطأ والشرك وايضاً بيّن عاقبة مسيرهما؛ طريق التوحيد الجنة وطريق الشرك جهنم. إذن كل إنسان يختار باختياره واحد من الطريقين وهو مسؤول عن نفسه ولا يكره الله أحداً من الشرك إلى التوحيد إنما خلق الله الإنسان مختاراً وورد في القرآن أن الله يساعد الانس والجن بأي طريق كان التوحيد أم الشرك كل فريق من الناس ولو كانوا في الطريق الخطأ يتمتعون بإمداد الله سبحانه و تعالي إلي حين، دققوا في هذه الآية:

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) (الاسراء- ١٨ إلى ٢٠)

لو كان انساناً يؤمن أن يشفى من قطعة خشب أو من ملكٍ أومن انسان آخر ليعلم أن الشفاء في الحقيقة من عند الله يعطى لهؤلاء لكي يغرقهم في الذنوب هذا سنت الله أو الاستدراج؛ و به يمدّ الله الموحدين والمشركين والكفار في الطريق الذي اختارهم لأنفسهم لكن سَيُرى بالنتيجة من هم الخاسرون، أنظروا في هذه الآية:

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨) (البقره- ١٥ إلى ١٨)

هذه الآية نزلت في سياق المنافقين ليكن هذا الأمر يصدق على المشركين والكفار. هل من المعقول أن المصائب والآلام من طرف الله والشفاء والتداوي من المخلوقات مثل الأئمة؟ هل عندما يمرض ويبتلى هذا بإذن الله والشفاء ورفع البلاء

بإذن دون الله (الأنبياء والصالحين) قطعاً البلاء والتداوي والألم من عند الله وفي كل مصيبة يجب أن نتوكل على الله فقط كما يكون الملك والخلق والرزق وجميع الكون في قبضته والمرض والشفاء ايضاً في اختياره.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) (الزمر – ٣٧ إلى ٣٩)

بعض الناس يقولون إن عيسى عليه السلام كان يشفي المرض إذاً نستطيع أن نطلب الشفاء من الأموات. لكنهم نسوا هذه النقطة؛ أولاً كان عيسي عليه السلام حينئذ حياً والثاني التشفي في حياته كان معجزة له. هل اليوم يكون عيسى حيّا و حاضرا حتى يرينا المعجزة و يشفي المرضى؟ و المسألة المهمة في معجزة الأنبياء: إنهم كانوا دائماً يأتون الناس بالمعجزة بإذن الله في حياتهم، مثلاً (الشفاء في يد عيسى، قميص يوسف ...) كلها كانت معجزة بإذن الله في حياتهم. المفاهيم المطروحة ليست جُدد وكانت معنا دائماً من بداية نزول القرآن الكريم؛ لكن مع الأسف الشديد تركنا القرآن و أصبحنا مقلدين في التفكر ثم أصبحنا نقول هذه المفاهيم من أين جاءت؟ هل جاء دين جديد لماذا حتى الآن ما قال لنا أحد هذه المفاهيم؟ علماء الشريعة ماذا فعلوا حتى الآن؟ (تفكر ساعة أفضل من عبادة ألف سنة).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (التوبه – ٣٤)

الفصل ١٤: الأموات بلا قدرة

في هذا الفصل نجيب بعض الأسئلة التي تخطر على الأذهان في الفصول السابقة، كما سبق فهمنا أن المطلوب من المسلم أن لا يطلب من دون الله ولا يدعوه بل العبادة والطلب الحاجة والشفاء يختص لله تعالى، الطلب الحاجة والدعاء من الأموات والأنبياء والأئمة والشهداء والصالحين يكون شركاً لأن كل ما ذكرنا يشمل تحت دون الله. بعض الناس يطرحون سؤالاً؛ أنه ورد في القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ أن الصحابة كانوا يطلبون الدعاء من النبي ﷺ؛ المسألة المهمة التي يجب أن تذكر أن طلب الحاجة من المسائل الدنيوية من الأحياء لا يكون شركاً (يعني أن الحي: الفرد موجود في الحياة فيزيكياً ولم يمت بعد). لاحظوا أن القرآن ذكر الشهداء أحياءً ليكن قصدنا عن الحي الذي لم يمت بعد لأن الشهداء عند الله في دار السلام يكونون الأحياء وليسوا عندنا حضوراً فيزكياً. مثلاً إذا طلب أحمد من صديقه محمد فهو حيٌ أن يقرضه مالاً لأنه عرض على الحي ولا إشكال فيه. في زمن النبي ﷺ كثير من الصحابة كانوا يستدعون عن النبي ﷺ والرسول كان يدعو لأنه كان حى و يعيش معهم. لاحظوا أن الرسول كان يدعو الله فقط مثلاً إذا كان يطلب منه أحد أن يدعو لشفاء ولده ما قال الرسول أنا أشفيه بل قال أنا معكم ونطلب من الله الشفاء له لا يوجد أحد من الصحابة أو التابعين أن يطلب الدعاء عن روحه ﷺ بعد وفاته لأنه شرك، لكن مع الأسف اليوم نسينا الهدف الأساسي من بعثة النبي ﷺ والناس يجددون أعمال الجاهلية. الشرك موجود في جميع الأديان من البوذا حتى اليهود والنصارى والمسلمين جميع الناس يواجهون هذه المشكلة الخطيرة ويكون الشرك في الأديان الأخرى أكثر من الإسلام لأنهم حرفوا الكتب ولكن القرآن يكون محفوظاً على وعد من الله تعالى. في الدول التي تركوا القرآن وأخذوا بالأحاديث والخرافات وأدعية متناقضة مع القرآن ترى الشرك كثير جداً وترى الشرك في أكثر البلاد الإسلامية لأن الناس يعيشون بعيداً عن القرآن وتركوا التفكر للعقيدة و الإيمان للمغرضين والمتمردين و يتبعونهم بغض البصر و الأذن.

المسألة الأخرى تكون مسألة النوم والرؤيا: سمعنا كثيراً من الناس يقولون نحن رأينا في النوم الأقرباء والصالحين والأموات جاءوا عندنا وتكلمنا معهم. كما ورد في القرآن أن عالم الأرواح لكل بشر سوى عن هذا العالم، إذن كيف يجيب على هذا السؤال. قبل الجواب كما سبق آية رقم مائة من سورة المؤمنون؛ ايضاً أنظروا إلى هذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) (الزمر- ٤٢ إلى ٤٤)

نجيب على هذا السؤال أن وجود الرؤيا والنوم صحيح وتكون من آيات الله. لكن ليس النوم حجةً يعني إذا رأيت في الرؤيا شيئاً لاتجعله ملاكاً لتغيير العقيدة والإيمان. دققوا في قوله تعالى:

وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) (النساء- ١٦٤ إلى ١٦٦)

بيّن الله سبحانه في هذه الآية أنه لايكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولانرى نقص في الإيمان والعقيدة حتى نكملها عن طريق الرؤيا والنوم. صحيح بعض الأنبياء مثل يوسف عليه السلام كان عنده علم بتعبير الرؤيا أما هذا كان معجزة لرسالته، فإذن إن الرؤيا و إن كانت صادقة لاتصلح أن تكون حجة لبناء عقيدة في الدين أو إنشاء حكم من أحكام الدين أو إضافة شيء إلي الدين، فإن القرآن أكمل الكتب السماوية ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء إلى يوم القيامة تم الحجة على البشرية جميعا، ولا يستطيع أحد أن يجعل الرؤيا حجة له. إذن عندما رأينا شيئاً في الرؤيا نقابله بالقرآن إذا وافق القرآن نقبله وإذا لم يوافق بالقرآن نرفضه ونتوكل على الله، بعد الأدلة القرآنية نذكر الأدلة العقلية:

الإنسان لا اختيار له قبل الولادة وبعد الموت والاختيار يكون فقط في الدنيا، لايولد أحد باختياره ولايستقبل الموت بل الله يحيي ويميت.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) (شورى- ٤٩ إلى ٥٠)

فكروا الآن، إن الروح تكون في بدننا وفي اختيارنا ولا نستطيع أن نُجبره أن يدخل في نوم شخص آخر. بعد الموت وحين النوم لا اختيار للإنسان ولا ينام أحد باختياره ولا يستيقظ ولا يرى شيئاً في النوم باختياره ولا يستيقظ في وقت معين. قسم من الرؤيا يرتبط بالأفكار واشتغاله اليومية؛ وقسم من الرؤيا بإرادة الله يحرز للإنسان مع علم بالمباحث المذكورة، إذا رأيتم في الرؤيا شخص صالح ويدعوكم به لرفع حاجة ماذا تفعل؟ بعد بيان كثير من مصادق الشرك في القرآن، كثير من الناس طبّقوا عقيدتهم مع القرآن و وحد الله في حياتهم. و بالمقابل كثير من الناس لما يهتدوا بعد و يرضون بالحياة الخرافية والشركية؛ هؤلاء عندما يرون الناس الموحدين والمهتدين يغضبون لأجل الغرور والظلم وعبادة المال، يريدون أن يكونوا جميع الناس من المؤمن وغير مؤمن مثلهم في الشركيات وتروجيها. عندما يقال لهم أمرنا الله سبحانه وتعالى أن لايوجد أي واسطة بين المخلوق والخالق وكل الناس ليدعونه مباشرة يمثل لنا ويقولون "في كل مكتب والادارة لزيارة الرئيس عليك أن ترى المعاون" ليعلم هؤلاء أن العالم الذي خلقه الله سبحانه ليس مثل الدائرة أو الشركة، ولا يتعامل فيه بالرشوة و مع هذا هؤلاء يصرّون أن يجادلوا القرآن بمثل هذه الأمثلة الحقيرة. أنظروا إلى قوله تعالى:

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧٤) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦) (النحل- ٧٣ إلى ٧٦)

في بداية الآية نهى الله عن عبادة دون الله وبيّن ضعف وعدم استطاعته ثم يقول لايعجبون كثيراً من الناس من عدم التوجه إلى غير الله ويحاولون توجيه عملهم ويأتون بأمثلة وصرح الله بذلك أن لا تمثلوا بالله وبدين الله بالأمثلة و الأقيسة الباطلة، هذا هو الله يعلم حقيقة الدين والناس لاعلم لهم وعليهم اتباع أوامر الله فقط، لاتحتاج أن نأتي بالأمثلة لله و لانستطيع أن نبين نهجا لله أصلاً بل هو الله الذي يبين المنهج للناس. بعض الناس يقولون نحن لاندعو دون الله بدلاً عن الله بل ندعوه مع الله ولا إشكال فيه. لا ندري هؤلاء على أساس أي منبع واستدلال يقفون على توجيه عملهم نمرّ على تصوير الفصل العاشر ونتلو هذه الآية:

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) (الجن– ١٧ إلى ١٩)

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (الدخان – ٨)

الفصل ١٥: الشرك في النذر والذبيحة

نقرأ هذه الآية لتأكيد على دروس السابقة:

بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥) (الرعد- ١٣ إلى ١٥)

رأينا في الدروس السابقة أن العبادة والدعاء و الحاجة والشفاء فقط يختص لله تعالى. إذا كان الإنسان يعملها لدون الله فقد أشرك. الشرك ذنب عظيم في الدنيا ولن يغفر له. وفي هذا البحث نذكر أموراً أخرى إذا فعلنا لغير الله سيحسب شركاً لله تعالى لكن مع الأسف رائج في مجتمعنا. ونكتفي في هذا التفصيل لأن المحقق الذي تابع المباحث إلى هنا يبحث ويحقق بنفسه. البحث الأول: التضحية يكون من العبادات والذبح لغير الله يكون شركاً. أمر الله سبحانه أن يذبح لله فقط. قوله تعالى:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣) (سورة الكوثر)

وأمر الله سبحانه وتعالى أن نطوف الكعبة فقط و الطواف لأي مكان آخر مثل المعابد والمقابر والزيارات يكون شركاً.

ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (الحج – ٢٩)

مع العلم بأمر الله سبحانه الذي يؤمن بالقرآن ولا يؤمن برسوله (يفرق بين الله ورسوله) أو الذي ينتخب بعض الآيات فقط أو الذي يؤمن بتحريف القرآن هو كافر.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢) (النساء- ١٥٠ إلى ١٥٢)

المسألة الثانية: الطعام الذي يطبخ باسم غير الله أو بنية رفع الحاجة لغيرالله. المؤمن عند الله يكون ذا قيمة عظيمة وأراد من المؤمنين أن يعظموا أنفسهم وكلوا من الطيبات؛ والمؤمن لايأكل طعام الذي طبخ باسم غير الله؛كما يقول الله سبحانه:

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) (الانعام- ١١٨ إلى ١٢١)

في هذه الآية يخوف الله المؤمنين اذا أكلوا الطعام الذي طبخ لغير الله من الوقوع في مهلكة الشرك. في السنة أيام خاصة ينذرون باسم غير الله "الأئمة والصالحين" نذورات خاصة مثل الطعام والمال والذبح فبناء علي هذه الآية يجب أن نبتعد عن أكل مثل هذه الأطعمة. صحيح في زماننا يفرش المائدة مع أنوع الأطعمة الملونة و اللذيذة لكن رغيف من الخبز الحلال أفضل من هذه الأطعمة الملونة و المحرمة وصحيح أنّنا لا نعلم نية هؤلاء يعني يمكن أنّ واحدا من بينهم يتصدق لله تعالى. لكن بما أن لهذه النذورات أيام خاصة علينا أن نحتاط عن تناول هذه الأطعمة. اذا كان شخص يريد أن يتصدق طعام يوجد أيام كثيرة في العام.

في الفصول السابقة ذكرنا أدلة الناس الذين لا يقبلون أوامر الله سبحانه كلما أغرس الشرك كثيراً في الإيمان والعقيدة يكون تطهيره أصعب. الفائز هو الذي يسلم نفسه لله بالكمال والتمام ويطلب الهداية من الله. والذي لا يخاف من أوامر الله. ولا يفكر أنّ لأجل ترك هذه الأوامر يُسلب منه أكرم شي. ولايفكر في القران ويستفسط؛ فقط نجيبهم جواباً واحداً:

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (الشورى- ١٦)

قال الله سبحانه إنه لجدير أن تكون حياة المسلم لوجه الله سبحانه:

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) (الانعام- ١٦١ إلى ١٦٣)

في الاسلام يعبد الله فقط ولا يوجد أي واسطة بينه وبين العباد في العبادة. دققوا في هذا التصوير؛ إن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يستعمل الأعمال العبادية لكسب رضا الله سبحانه وتعالى ونحن اليوم يجب بدل أن نتوسل الى روح الرسول نجعله الأسوة لنا ونتبع سبيله.

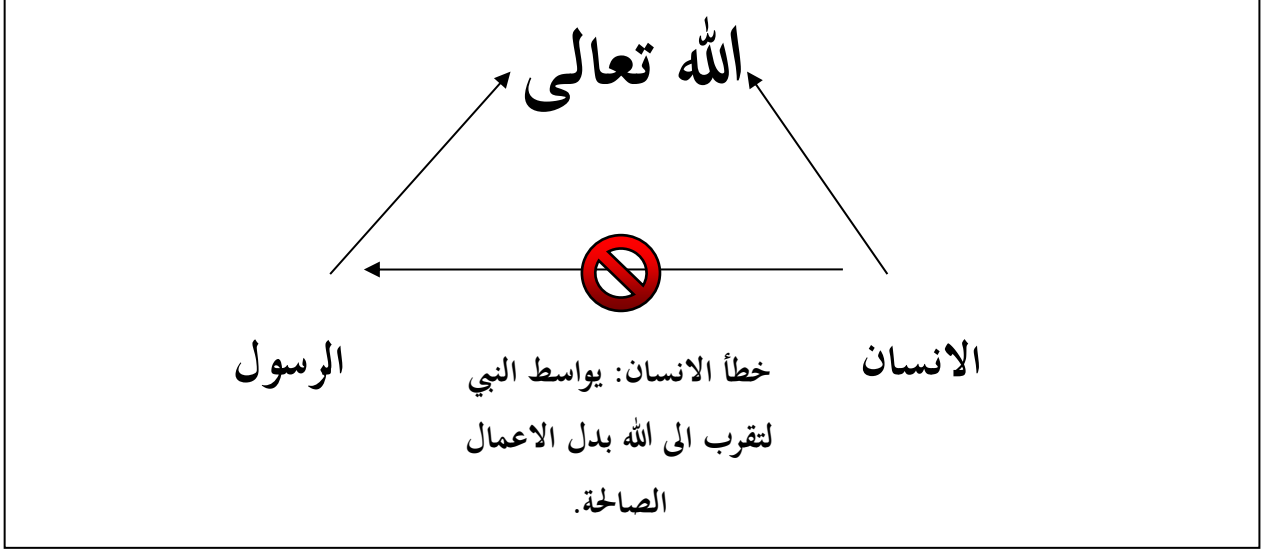

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (ق – ١٦)

الفصل ١٦: الشرك في العزاء

في هذا الفصل نذكر الخرافات التي تكون رائجة في المجتمع؛ في الفصول السابقة ذكرت أن الله تعالى جعل السعادة الأبدية في الإيمان والعمل الصالح. وأركان الإيمان في القرآن كالتالي: إيمان بالله وعدم الشرك في العقيدة والإيمان بالملائكة وعدم الغلو فيها. وإيمان بالكتب السماوية والقرآن الذي نزل اخر شيء على الرسول وايمان بالرسل ومحمد ﷺ كالنبي الخاتم والايمان بيوم القيامة والجنة والنار وايضاً ذكر أن المعيار الاصلي للعمل الصالح مرضاة لله سبحانه ولتعليم كيفية العمل كما امر الله يجب أن نجعل نهج النبي ﷺ الاسوة لنا. النبي ﷺ بُعث ليخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء- ١١٥)

في الأية المذكورة ذكرت وصايا كثيرة للمسلمين. الوصية الأولي: الذي يتعبد الله على غير طريق النبي لا يقبل اعماله. مثلا الذي يصلي المغرب عمدا ركعتين بدل ثلاث ركعات وهذا مغاير لصلاة النبي فلا يتقبل منه. المسلم يجب أن يراقب اعماله كأعمال الرسول اذا كان مطابق لعمل الرسول ﷺ يكون عمله عملا صالحا ويتقرب به الى الله. الوصية الثانية: اليوم ليس النبي بين المسلمين لذا المسلم يجب ان يطابق عمله مقابل عمل المؤمنين ولصحة عمله وسقمه ينظر الى سبيل المؤمنين؛ البتة دققوا قبل كل شيء؛ على المسلم ان يطابق عمله مع القرآن ثم لتعليم طريق عمله يتبع سبيل المؤمنين؛المؤمنين لهم صفات كما ذكر سابقا ولا يوجد في ايمانهم شرك، طالما وجد في ايمان احد شرك لا يتبع سبيله بل نحن نتبع اعمال الصالحين الموحدين والمبلغين التوحيد مع العلم بالمفاهيم سابقة الذكر نبحث عن الخرافات موجودة في المجتمع دليل وجود هذه الخرافات عدم إتباع النبي في الأعمال وقبول قول كل شخص مع أي اعتقاد في كيفية العمل.

أول الخرافة التي يروج كثيرا في مجتمعنا التعزية؛ معظم الناس في ايام معلومة من العام، مثل شهر محرم يلبسون الملابس السوداء ويظاهرون بالعزاء في الشوارع ويضربون على البدن والوجه باليد أو بالسلاسل على الرأس والصدر وايضاً خرق الوجه و الملابس و الاصوات العالية التي كانت من سنن الجاهلية ومن أعمال المشركين وانتهي بمجيء الأسلام لكن مع الأسف بعد مضي فترة من الزمان ظهر الضرب على النفس، و هذا العمل ربما انتقل من المسيحيين إلي بعض الفرق الإسلامية، و أساس عملهم علي أن الضرب على الوجه باليد أو بالسلاسل يتذكر آلام سيدنا عيسى عليه السلام ويغفر ذنوبنا. في بلادنا يوجد أحاديث مجعولة كثيرة مثلاً يقولون "من يبكي يوم عاشوراء ولو بدمعة واحدة تغفر ذنوبه" هل فكرتم من أين جاءت هذه الأحاديث؟ هل الذي في طول السنة يذنب ويخطأ طوال العام بمجرد البكاء في يوم عاشوراء تغفر ذنوبه؟. هذا خيال باطل أين جاء في القرآن أن التعزية يكون من الأعمال الصالحة ويثيب بذلك؟ بل لا تغفر الذنوب إلا بالتوبة الحقيقية قبل الموت ولا توجد آية واحدة في القرآن في تمجيد التعزية. كل هذه المصائب بسبب

تقليدنا الأعمى من الذين يخدعوننا باسم دين ولا نفكر بأعمالنا هل يصح أم لا وزين لنا أعمالنا كأنه أفضل الأعمال في الدنيا دققوا في هذه الآية:

وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (العنكبوت – ٣٨)

لا هداية لأقوام الذين زينوا فساد أعمالهم لن لا عقل ولا علم لهم بسبب تعصبهم ويظنون ويحسنون أعمالهم. هل فكرتم أن نبينا ﷺ الذي يكون أسوة لنا قام بالتعزية؟ استشهد سيد الشهداء حمزة هل النبي عزا له وضرب على وجه رأسه؟ ما لم يرد عن النبي والصحابة والتابعين أن يحضروا بجنازة ويضربوا على صدورهم وناحوا لا على الأموات الجدد ولا القديم هل الأعمال التي اليوم نعمل بها عمل الرسول أو أمر بها مع الأسف في السنوات الأخيرة مراسم التعزية صارت معظمة مجللة والمدّاحون لا يخلو كلامهم عن الشرك والخرافة والبدعة، هذا و إن سيدنا حسين (ع) قال لأخته زينب: يا أختي اقسمك بالله وأنت وفيَّ بحلفي (أو أنت تعمل بقسمى) إذا قتلت لا تحرقي ملابسك ولا تضربي وجهك لشهادتي ولا تقولي وأسفاه كما قال الله تعالى في وصف هؤلاء:

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) (البقره– ١٥٦ إلى ١٥٧)

من الواضح ما قام بالتعزية نبي من الرسل على نبي قبله لأن التعزية ليست من أعمال الصالح بل يكون من عمل المشركين ونهانا الإسلام عنها. أهل التعزية اليوم يعطون الأموال لمرشدين الضآلة. الذين يدخلون النار ويدخلون الآخرين بسبب تقليدهم وهولاء والذين يؤمنون بالعزاء في الحقيقة هم يخدعون أنفسهم لأن المعيار السعادة في الآخرة هو العبادة لله تعالى في الدنيا وليس الضرب والبكاء وحرق الملابس للأموات سبباً للسعادة في الآخرة نتمنى أن نتبع النبي (ص) في الأعمال فقط وإذا نريد اتباع سبيل المؤمنين لا ننسى التطبيق الأعمال بالقرآن.

من الخرافات المروجة من مجتمعنا هو الأزلام وكانت من أعمال الجاهلية ونهى عنه ليكن مع الأسف بعد دولة صفوية جددت هذه الخرافة اليوم كثير من الناس لأجل الزواج أو السفر أو العمل بدل عن المشورة والاستعانة من العقل يلجئون إلى الأزلام "هو يتشكل عن الأسهام الذي كانوا يستعملون المشركون في الجاهلية لاستخارة العمل" أقيسوا هذه القضية مع مجتمعنا اليوم. كانوا يكتبون على بعض الأسهام "أمر ربي" و الآخر "نهاني ربي" والباقون بدون الكتابة الشيء ثم كانوا يضعون الأسهام جميعاً في مكان ثم لأجل استخارة العمل يأخذ سهم منها ويعمل على حسب المكتوب في السهم لكن إذا كان غير مكتوب يكرر هذا العمل. و الآن انظروا إلي مجتمعنا اليوم، إن الناس لأجل استخارة العمل المهم يفتحون المصحف صدفة إذا كان على الصفحة المفتوحة كلمة "الجيد" يعمل بعمله لكن إذا كانت على الصفحة كلمة "السيء" لا يعمل بعمله (علماً بان يوجد بعض المصاحف مكتوب في الصفحات كلمتان إما جيد أو سيء) أو

يستخيرون بالقرآن أو بالمسبحة أو الأوراق الأخرى... هل هذا الإنسان هو الذي جعل الله خليفة في الأرض وأمره بالتفكير والتعقل؟ هل ورد في القرآن أن العمل بالاستخارة أفضل من التفكير؟ قطعاً ورد معيار السعادة في جميع الأديان في الدنيا والأخرى هو التعقل. المقصود ههنا الخرافة التي سمّوها استخارة، لا الاستخارة الشرعية التي أمرنا رسول الله صلي الله عليه و سلم بإنجازها و هي تفويض عاقبة الأمر إلي الله سبحانه و تعالي بعد الاستشارة الصحيحة مع أهل العلم و النصيحة و التفكر و التعقل و التوكل علي الله سبحانه و تعالي كما جاء هذا الموضوع في الحديث النبوي الصحيح.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (الانفال- ٢٢)

هذا و قد ورد في أكثر من مائة آية في القرآن الكريم أنّ الله تبارك و تعالي دعا الناس إلي التفكر والتعقل لكن مع ذلك هناك كثير من الناس يضلون المقلدون الذين يرجحون التقليد الأعمى على التفكير، قال الله في كلامه المجيد أن الأزلام من عمل الشيطان:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائده – ٩٠)

وأخيراً أمر الله الناس بالشورى للذين عندهم ضعف لأخذ عمل ما وعدم العلم والقدرة على أخذ العزيز:

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (الشورى- ٣٨)

في العزايم دائماً علينا أن نتوكل على الله ثم نستفيد من العقل والفكر ونستشير مع الخبراء وبالنهاية ايضاً نتوكل على الله.

وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (المومنون – ١١٨)

الفصل ١٧: علم الغيب

في الفصل السابق بدأنا في الخرافات ونتابع الموضوع في هذا الفصل في الأديان السماوية مثل اليهودية و المسيحية و الأديان البشرية مثل البوذا و غيرها، فكان هناك خرافات كثيرة عبر التأريخ أضلت كثيرا من الناس واستمر حتى جاء الإسلام وطهر الله المؤمنين من هذه الخرافات. لكن مع هذا نشاهد اليوم أخطر الخرافة الجاهلية وهي (اعتقاد الإنسان على تأثير غير الله في حياته) ويكون في الدول المختلفة على أشكال مختلفة نبين بالأمثلة في بعض الدول. هناك بعض الناس يعتقدون بأن النجوم والمجرات لهما تأثير في حياة الإنسان خيراً وشراً. الكون ومنها النجوم مخلوق لله سبحانه وتعالى فقط هو الله يعطي الخير ويرفع الشر وهذا التصور الذي يستطيع الإنسان من حركة النجوم يحدد مستقبل حياته هذا تصور غلط لأنه يُفهم من هذا أن النجوم قادرة على تغيير العالم و تعلم للغيب. مع الأسف يوجد في بعض المجلات صفحات ملونة و يعين مستقبل الإنسان من طريق النجوم والقمر والشمس هذا كلها افتراء وكذب وهذه المخلوقات لله لا تأثير لها على حياة الإنسان وفي بعض الدول والأديان يعتقدون أن بعض الأجسام الطبيعية مثل صليب، نعل الحصان، نجم داوود و... لها تأثير على الفرد والخير والبركة لهذا ترى في هذه الدول يعلقون هذه الأشياء في أعناقهم وأيديهم بأشكال مختلفة. و القرآن في مثل هذه القضايا يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) (الانعام- ١٦ و ١٨)

في بلدنا هذه الخرافات يظهر بصورة أخرى مثل استخارة القهوة، استخارة خُمَّص إحضار الروح رمل والسحر التبرك بقبور الأموات (أنبياء، أوصياء و صالحين) والتبرك بالقماش و الأوراق، التبرك بالأدعية، عقد الخيط على الأشجار وقبور الأموات وكثير من هذه الأمور هذه كلها ورد إبطالها في القرآن ويحسب من الشركيات استخارة بعني أخبار عن المستقبل والغيب والسحر واعتقاد غير الله على تأثيره في الحياة خيراً وشراً كما جاء في القرآن فقط هو الله العالم بالغيب والطبيعة ويكون السحر والرمل باطلاً:

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (الانعام_٥٩)

الله هو العالم بالغيب والحاضر وايضاً يخبر الإنسان عن أعماله الظاهر والخفية ولا يوجد إحضار الروح في القرآن روح الأشخاص بعد الموت يكون في دار السلام (سورة مؤمنون – آية ٢٣) وتقطع عن الدنيا كاملاً (يمكن أن يدخل الجن في حياتنا والذين يدعون بتعلق الأرواح يمكن أن يكون هناك تعلق بينهم و بين الجن ولا يعلمون عن هذا). ايضاً التبرك

والتوسل بغير الله تكون من مصاديق الشرك جاء في القرآن مكرراً أن الخير والشر يكونا من طرف الله فقط ويكونان نتيجة عمل الإنسان والقرآن كلام الله و يكون سببا لسعادة البشر حينما الإنسان يعمل به و يجعله دستورا لحياته.
المسألة المهمة التي كانت و لاتزال رائجة في بلدنا، اللعن على السابقين السلف و اللعن يعني التمني لقطع الرحمة وعفو من الله، و اللعن يكون مثل السيف ذا وجهين إذا كان الشخص الملعون مستحق للعن تأخذه اللعنة لكن إذا كان الشخص الملعون غير مستحق للعنة (مثلاً تاب عن عمله) يرجع اللعنة إلى اللاعن لهذا يوصى أن نترك اللعن والنفرة لأن أولاً باب التوبة يكون مفتوحاً حتى قبل الموت ولا يعلم أحد عن توبة شخص آخر، ثانياً لا نسأل عن أعمال الآخرين يوم القيامة:

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) (البقره- ١٣٤ و ١٤١)

كما قلنا إن الإنسان يكون عبداً لله تعالى دائماً ولا يكون عبداً لغير الله. و في الجاهلية كانت عبادة الأوثان رائجة وكانوا يسمون أولادهم بأسماء الأوثان افتخاراً لهم مثل عبد الهبل عبد المنات، واليوم مع الأسف يكون هذه التسمية مروجة ليكن بدل إظهار العبودية للأوثان يظهرون العبودية للأفراد (مثل عبد الحسين، عبد الرضا، غلام حسين...) الأنبياء والأئمة لم ينتخبوا هذه الأسماء لأولادهم وأفضل الأسماء وعند الله يكون عبد الله وعبد الرحمن لأننا جميعاً نكون عباداً لله تعالى ولسنا عبادا للعباد:

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠) (الحجر- ٤٩ و ٥٠)

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا - إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا - لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (الجن – ٢٦ إلى ٢٨)

الفصل ١٨ : توحيد الربوبية

في هذا الفصل نبحث عن أربع كلمات أساسية في القرآن الكريم (الإله، الرّب، العبادة، الدين) فاخترنا من كتاب "المصطلحات الأربعة في القرآن" للإمام أبي الأعلى المودودى وقال المؤلف إنّ هذه الكلمات الأربعة تكون أساسية و أصل فهم القرآن الكريم و دعوة القرآن يحول حول هذه الكلمات والفهم الدقيق لهذه الكلمات زين حياة كثير من الناس و إذا سألكم غير مسلم عن هذه الأربعة ماذا تجيبون؟ عندما كان ينزل القرآن علي الأعراب الجاهلية هم كانوا يفهمون مقصود القرآن من هذه الكلمات الأربعة لكن اليوم لا يوجد إلا صورة مشوشة عن معاني هذه الكلمات، فلندقق في معاني هذه الكلمات.

" الإله "

جاء في القرآن المجيد معاني كلمة «إله» كالتالي:

أن أول ما ينشأ في ذهن الإنسان من الحافز على العبادة والتأله يكون ما أتاه احتياج المرء وافتقاره. وما كان الإنسان ليخطر بباله أن يعبد أحداً ما لم يظن فيه أنه قادر على أن يسد خلته، وأن ينصره على النوائب ويؤويه عند الآفات، وعلى أن يسكن من روعه في حال القلق والاضطراب. وكذلك أن اعتقاد المرء أن أحداً ما قاض للحاجات ومجيب للدعوات، لستلزم أن يعده أعلى منه منزلة وأسمى مكانة، وألا يعترف بعلوه في المنزلة فحسب، بل أن يعترف كذلك بعلوه وغلبته في القوة والأيد. فالله هو المعز، المحيط، القادر، المالك، والمعبود وحلال المشاكل. العرب الجاهلي كان يؤمن بالخالق والقهار الذي يعرفه باسم الله لكن إلي جانب ذلك كان يؤمن بآلهة أخرى ايضاً وفي الحقيقة يعتقد أن هذه الآلهة تكون مع الله وكلامهم مقبول عند الله وكان يأمنهم في المصائب لأجل شفاعة الآلهة وايضاً كانوا ينسبون كبار القوم مقام الإله ويشرع ويحلل ويحرم والناس يتبعون منهم ويعطون للإله هذه الحق والتصرف من التشريع وهذا مرفوض في الإسلام و من غير الممكن أن تكون القدرة والخلق بيد واحد والأمر والرزق بيد آخر وتسخير الكون والقمر والشمس بيد آخر وايضاً الموت والحياة والمرض والشفاء في يد آخر وهذا مستحيل، دققوا في هذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص- ٨٨)

في الجاهلية كان الناس يدعون آلهة عند المصائب ويستشفون منهم وما كانت هذه الآلهة من الجن والملائكة والأوثان بل كانوا من الناس الذين ماتوا صالحين بتعبيرهم وكانوا يعتقدون بقدرتهم بالدخل والتصرف ورفع الحاجات ويركعون ويتقربون بهم بالصدقة والنذورات يقول القرآن في المعبود الذي بعد موته يطلبون الحاجات منه:

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (النحل- ٢١)

جميع المخلوقات ملكاً لله تعالى ولا شريك له في الخلق وهو الرزاق الواحد القائم والمدبر وهذا خطأ فاحش أن نعقد غير الله المجيب كلما جاء كلمة إله في القرآن بكون بمعنى الله الخالق والرزاق والناصر والمالك الموت والحياة وإله المخلوقات هو الله.

" الرّب "

جاءت كلمة (الرّب) بالمعاني التالية:

١- المربي الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة.

٢- الكفيل والرقيب، والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال.

٣- السيد الرئيس الذي يكون في قومه كالقطب يجتمعون حوله.

٤- السيد المطاع، والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم، والمعترف له بالعلاء والسيادة، والمالك لصلاحيات التصرف.

٥- الملك والسيد.

و جاء في القرآن الكريم كلمة «رب» علي معان كثيرة منها«المعني الأول و المعني الثاني»

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الفاتحه- ٢)

ايضاً:

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (الانعام- ١٦٤)

استعمال كلمة «رب» في القرآن بمعني الجامع و الحاشر (المعني الثالث):

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (سباء- ٢٦)

ويستعمل الرب في القرآن معنا أرباب المشرع والقيوم:

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (التوبه- ٣١)

المقصود من كلمة "رب" في هذه الآية هم الذين يختارونهم الناس كمرشد مطلق ويركعون أمام أوامرهم ونواهيهم ويتبعون قوانينهم حلالاً أو حراماً ويظنون أن هذه الآلهة يأمرون وينهون بدلاً عن الله تعالى.

استعمل كلمة (رب) معنا الملك والمختار:

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) (الصافات- ٤ و ٥)
وايضاً:

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (الصافات- ١٨٠)

قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (الرعد – ١٦)

الفصل ١٩: مقارنة شرك السابقين

نبحث عن الأمم السابقة وعلاقتهم مع الربوبية.

« قوم نوح عليه السلام »

إن أسبق الأمم التي ذكر في القرآن أمة نوح، كما نعلم من القرآن أن هؤلاء لا ينكرون الرب ويؤمنون بالله كخالق العالم ويؤمنون بالرب المدبر والمصلح والمعز...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) (المومنون- ٢٣ إلى ٢٥)

ما كان موضوع الخلاف بين نوح وقومه أن إلههم الله، لأنهم لا ينكرون الله، فإذن ما هو أصل الخلاف بينهم؟ قال نوح لقومه يا قوم، إنّ الله هو رب العالمين والمجيب وربكم الحقيقي ولا شريك له يضر وينفع و إنه يسمع دعائكم فادعوه و اعبدوه وحده:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الاعراف- ٥٩)

هذا و قوم نوح كانوا يصرون على هذا أن الله رب العالمين و يقولون إننا نؤمن بهذا، ولكن ليست هذه الأمور خاضعة لقدرة الله وحده بل هناك آلهة أخري يشاركونه و يعاضدونه في أموره في الكون وتدبير الخلق و الله يحل بعض المصائب بواسطة هذه الآلهة ولا يعتقدون القدرة والسلطة فقط يكون منحصراً لله وايضاً ليس من الضروري أن ينفذ فقط أوامره من جميع شؤون الحياة أخلاقياً اجتماعياً مدنياً سياسياً و لا يقبلون أن يكون سبيل الله هو السبيل الوحيد أو النهج القويم الذي يلزم اتباعه، بل هم يؤمنون بالحكام والعلماء الدينية كالمعبود يطيعونهم في جميع شؤونهم بلاتدبير و تعقل، هذا و نوح عليه السلام كان يقول آمنوا بالله الواحد و اتركوا هذه الآلهة الموهومة و آمنوا بالله الذي له جميع معاني كلمة «الرب».

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالا (٢٤) (نوح- ٢١ إلى ٢٤)

« قوم هود (ع) »

كما جاء في القرآن، إنّ قوم هود ايضاً لا ينكرون الله وجوداً وإلها لكن مثل قوم نوح يعتقدون بالآلهة أخرى في الدنيا و في أمر الخلق والكون، والخلاف بين هود وقومه كما ذكر سابقاً مع قوم نوح والدليل كالتالي:

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (الاعراف- ٦٥)

ايضاً هم كانوا يعتقدون بوجود الله:

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (الاعراف- ٧٠)

وايضاً ذكر من الآية التالية أن آلهة قوم عاد كانوا جباراً أو ضد الحقيقة:

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (هود- ٥٩)

« قوم صالح (ع) »

أضل الأقوام التي ذكر في القرآن قوم صالح وضلالتهم كانوا كقوم نوح وهود. إنهم لا ينكرون الله كخالق العالم و يعبدونه و يركعونه فقط ينكرون التوحيد ويصرون على وجود آلهة غير الله على أنهم يسمعون دعواتنا ويجيبون حاجاتنا لأجل هذا كانوا يتبعون كبار القوم والحكام ويقولون يجب أن نتعلم منهم طريقة العيش وقانون الحياة و في النتيجة كأجل هذا أفسدوا وخسروا حتى جاءهم العذاب الشديد. تأمّلوا في هذه الآية:

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) (هود- ٦١ و ٦٢)

« قوم ابراهيم (ع) »

يتحدث القرآن الكريم عن قوم ابراهيم بعد قوم صالح، والشيء المهم الذي يلفت النظر الفكرة الخاطئة التي شاعت بنسبة نمرود حاكم هذا القوم، إنهم يقولون: إن نمرود ينكر الله ويدعي إلهية نفسه، لكن علينا أن نعلم أن نمرود يؤمن بوجود الله على انه الخالق المدبر ليكن لا يعتقد به معنا الثالث الرب (مالك يوم الدين) و كان يدعى بالربوبية بمعنى الرابع والخامس (ارباب الواضع، المشرع، القيوم، الملك وصاحب الاختيار) وهو كان يعتقد أن الناس كالأغنام لا يميزون الخير عن الشر وكان يضع القانون لقومه بدلاً عن الله لهذا شاع خطأ أن قوم ابراهيم كانوا لا يعرفون الله ولا يعتقدون بالربوبية الله ثم بعد ذلك علينا أن نعلم في هذه المسالة أنه لم يكن هناك فرق بين قوم ابراهيم وقوم نوح وهود وصالح لأنهم كانوا يعرفون الله ويفهمون أنه خلق السموات والأرض ويدبر الأمور ولذا يعبدونه وسبب الضلالة كانت اعتقادهم

بتأثير الاجرام السماوية والطبيعية مثل (النجوم والشمس والقمر) في سعادتهم و شقاوتهم و جلب المنافع لهم و دفع المضرات عنهم، فاعتقدوا أن هذه الأجرام بهذا شركاء لله في الربوبية (بالمعني الأول والثاني) ولهم دخل من الوجود و التربية و اصلاح الموجودات على هذا الأصل يجعلونهم شركاء لله في الآلوهية:

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)
(الانعام- ٨٠ و ٨١)

يظهر من كلام ابراهيم أن قومه كانوا لا ينكرون الله بل كانوا يجعلون لله شركاء في الربوبية (بالمعنى الأول و الثاني و المدبر و المسئول و المصلح و الكمال) لهذا يفهم من كلام ابراهيم في دعوة قومه إلي انحصار الألوهية والربوبية لله سبحانه. نبذة من جدال نمرود مع ابراهيم في القرآن:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
(البقره- ٢٥٨)

يظهر من هذه المناقشة أن موضوع البحث ليس وجود الله وعدمه وكان نمرود من قوم يعتقدون بوجود الله وكان يقول: ادير المملكة التي ابراهيم أحد أفراده وكان يعتقد بالربوبية بالمعني الرابع والخامس (أرباب واضع القانون، مشرع، القيوم) ويدعى ملكية المملكة وجميع الناس في هذه البلدة عباداً له وقدرته يكون البناء والأصل في المجتمع و واوامره و برامجه كانت قانوناً حياتياً للإنسان.

الفصل ٢٠: مقارنة شرك الناس اليوم

« قوم لوط (ع) »

ويعقب قوم إبراهيم في القرآن قوم لوط، الذين بعث لهدايتهم وإصلاح فسادهم لوط بن أخي إبراهيم عليهما السلام. ويدلنا القرآن الكريم أن هؤلاء ايضاً ما كانوا متنكرين لوجود الله تعالى ولا كانوا يجحدون بأنه هو الخالق والرب بالمعنى الأول والثاني. أما الذي كانوا يأبونه ولا يقبلونه فهو الاعتقاد بأن الله هو الرب المعنى الثالث والرابع والخامس، والإذعان لسلطة النبي من حيث كونه نائباً من عند الله أميناً. ذلك بأنهم كانوا يبتغون أن يكونوا أحراراً مطلقي الحرية يتبعون ما يشاؤون من أهوائهم ورغباتهم وتلك كانت جريمتهم الكبيرة التي ذاقوا من جرائها أليم العذاب . ويؤيد ذلك ما يأتي من النصوص القرآنية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) (العنكبوت- ٢٨ و ٢٩)

أفيجوز أن يكون هذا جواب قوم ينكرون وجود الله تعالى؟. لا والله ومن ذلك يتبين أن جريمتهم الحقيقية لم تكن إنكار ألوهية الله تعالى وربوبيته، بل كانت جريمتهم أنهم على إيمانهم بالله تعالى إلهاً ورباً فيما فوق العالم الطبيعي، كانوا يأبون أن يطيعوه ويتبعوا قانونه في شؤونه الخلقية والمدنية والاجتماعية، يمتنعون من أن يهتدوا بهدي نبيه لوط عليه السلام.

« قوم شعيب (ع) »

ولنذكر في الكتاب بعد ذلك أهل مدين وأصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام. ومما نعرف عن أمرهم أنهم كانوا من ذرية إبراهيم عليه السلام. إذن لا حاجة إلى أن نبحث فيهم: هل كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى وبكونه إلهاً ورباً أم لا؟ إنهم كانوا في حقيقة الأمر أمة نشأت على الإسلام في بداية أمرها، ثم أخذت بالفساد بما أصاب عقائدها من الانحلال وأعمالها من السوء. ويبدو مما جاء عنهم في القرآن كأن القوم كانوا بعد ذلك كله يدّعون لأنفسهم الإيمان، فإنك ترى شعيباً عليه السلام يكرر لهم القول: يا قوم اعملوا كذا وكذا إن كنتم مؤمنين وفي خطاب شعيب عليه السلام لقومه وأجوبة القوم له دلالة واضحة على أنهم كانوا قوماً يؤمنون بالله وينزلونه منزلة الرب والمعبود. ولكنهم كانوا قد تورطوا في نوعين من الضلال: أحدهما أنهم كانوا أصبحوا يعتقدون الألوهية والربوبية في آلهة أخرى مع الله تعالى، فلم تعد عبادتهم خالصة لوجه الله، والآخر أنهم كانوا يعتقدون أن ربوبية الله لا مدخل لها في شؤون الحياة الإنسانية من الأخلاق والاجتماع والاقتصاد والمدنية والسياسة، وعلى ذلك كانوا يزعمون أنهم مطلقوا العنان في حياتهم المدنية ولم أن يتصرفوا في شؤونهم كيف يشاؤون، ويصدق ذلك ما يأتي من الآيات:

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (الاعراف- ٨٥)

والعبارات الأخيرة المخطوط تحتها خصوصية الدلالة على ضلالهم الحقيقي في باب الربوبية والألوهية.

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (هود- ٨٧)

« قوم موسى (ع) و فرعون »

انتشار الشّائعات عن فرعون: يشاع أنّ فرعون لم ينكر الإله الواحد فحسب، بل ادّعى أيضاً الألوهيّة والخلق لنفسه ، أي أنّ حماقته وصلت حدّا ادّعى فيه علنا في قومه أنّه خالق السّماوات والأرض. واستخفّ قومه إلى حدّ ما ، فقد حان الوقت لهم لقبول هذا الادّعاء والإيمان به (شائعة تاريخيّة). والحق الواقع الذي يشهد به القرآن والتاريخ هو أن فرعون لم يكن يختلف ضلاله في باب الألوهية والربوبية عن ضلال نمرود، ولا كان يختلف ضلال آله عن ضلال قوم نمرود. وإنما الفرق بين هؤلاء وأولئك أنه قد كان نشأ في آل فرعون لبعض الأسباب السياسية عناد وتعصب وطني شديد على بني إسرائيل، فكانوا لمجرد هذا العناد يمتنعون من الإيمان بألوهية الله وربوبيته، وإن كانت قلوبهم تعترف بها شأن أكثر الملحدين الماديين في عصرنا هذا.

وبيان هذا الإجمال أنه لما استتبت ليوسف عليه السلام السلطة على مصر، استفرغ جهده في نشر الإسلام وتعاليمه بينهم. ورسم على أرضه من ذلك أثراً محكماً لم يقدر على محوه أحد إلى القرون. وأهل مصر وإن لم يكونوا إذ ذاك قد آمنوا بدين الله عن بكرة أبيهم، إلا أنه لا يمكن أن يكون قد بقي فيهم من لم يعرف وجود الله تعالى ولم يعلم أنه هو فاطر السماوات والأرض. وليس الأمر يقف عند هذا بل الحق أن كان تم للتعاليم الإسلامية من النفوذ والتأثير في كل مصري ما جعله – على الأقل – يعتقد بأن الله إله الآلهة رب الأرباب فيما فوق العالم الطبيعي ولم يبق في تلك الأرض من يكفر بألوهية الله تعالى. وأما الذين كانوا قد أقاموا على الكفر، فكانوا يجعلون مع الله شركاء في الألوهية والربوبية. وكانت تأثيرات الإسلام المختلفة هذه في نفوس أهل مصر باقية إلى الزمن الذي بعث فيه موسى عليه السلام، هذا و قد قام أساس دعاوي فرعون علي تعصبات قومية، لم يزل أثر شخصية النبي يوسف عليه السلام باقياً في نفوس القوم إلى ذلك الحين، وقد مضت على عهده قرون متعددة. وبفضل ما علمهم هذا النبي الجليل، لم يكونوا قد بلغوا من الجهالة ألا يعلموا شيئاً عن وجود الله تعالى، أو ألا يعرفوا أنه الرب والإله، وأن سيطرته وسلطته غالبة على قوى الطبية في هذا العالم، وأن غضبه مما يخاف ويتقى. وبعد ذلك انتشر بنو اسرائيل في مصر وكانوا حكاما على مصر سنوات عديدة وصل إلى ثلاثة أو أربعة قرون، بعد هذا ابرز التعصب القومي الشديد في مصر فسلط أهل مصر عليها وحكموا فيها فهزموا بني اسرائيل و هدموا ما بقي من الآثار والرسوم المتبقية من زمن يوسف فجددوا الدين الجاهلي القديم و في

ذاك الوقت بعث الله موسى عليه السلام وشعب مصر كانوا يخافون من عودة الحكم إلي بني إسرائيل مرة ثانية لهذا أخذوا يجادلون مع موسي (ع) و يعاندون معه عناداً شديداً:

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) (النمل- ١٣ و ١٤)

المقصد الأصلي لفرعون عن الربوبية ما كان انه خالق الأرض والسماء بل كان يدعى هذا لأجل تثبيت الحكمة والسياسة وكان عنده ألوهية السياسية لا الالوهية بمفهوم الحاكمة على قوانين ونظام الطبيعة والدنيا كان يظن انه يكون رب بلاد مصرية بمعنى هو مالك بلاد مصر والمتصرف فيه ولا حكم لأحد إلا لي لهذا يجب تنفيذ أوامري باسم الشريعة والقانون:

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (الزخرف- ٥١)

وايضاً ورد في الآية التالية أن فرعون كان يجبر القوم على عبوديته و المقصود من هذه العبودية ليست بمعني أن يسجد الناس له و يصلّون له و يصومون له بل المقصود من العبودية إطاعة أوامره بدون أي دليل وعذر:

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (الشعراء- ٢٢)

أما سبب ظهور الخلاف موسى (ع) مع فرعون هو أن موسى (ع) كان يدعو فرعون إلى الله على انه هو الرب على جميع معاني كلمة الرب، وكان يقول هو رب العالمين وفعلي العباد أن يعبدوه ويتبعوه في تمام شؤون الحياة سياسياً واجتماعيا و قانونياً.

« يهود و قوم عيسى (ع) »

مما لاشك فيه أن ضلال اليهود والنصارى هو من حيث الأصل والأساس نفس الضلال الذي ارتطمت فيه الأمم المتقدمة، وأن ضلالهم هذا كان آتياً من غلوّهم في الدين. فكان ضلال أهل الكتاب حسب ما تجل عليه الآيات القرآنية أنهم بالغوا في تعظيم النفوس المقدسة كالأنبياء والأولياء والملائكة التي تستحق التكريم والتعظيم لمكانتها الدينية، فرفعوها من مكانتها الحقيقية إلى مقام الألوهية وجعلوها شركاء مع الله ودخلاء في تدبير أمر هذا العالم، ثم عبدوها واستغاثوا بها واعتقدوا أن لها نصيباً في الألوهية والربوبية الميمنتين على ما فوق العالم الطبيعي، وزعموا أنها تملك لهم المغفرة والإعانة والحفظ.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) (التوبه- ٣٠ إلى ٣١)

أي أن الذين لم تكن وظيفتهم في الدين سوى أن يعلموا الناس أحكام الشريعة الإلهية، ويزكوهم حسب مرضاة الله، تدرج بهم هؤلاء حتى أنزلوهم بحيث يحلون لهم ما يشاؤون ويحرمون عليهم ما يشاؤون، ويأمرونهم وينهونهم حسب ما تشاء أهواؤهم بدون سند من كتاب الله، ويسنون لهم من السنن ما تشتهي أنفسهم. فلما وقعت اليهود والنصارى في ذلك الضلال، كانت نتيجتها أن أخذت جميع أنواع الأوهام مأخذها من قلوبهم وعقولهم، واستدرجهم من عبادة العلماء والمشايخ والصوفية والزهاد إلى عبادة الجبابرة وطاعة الظالمين الذين كانوا قد بغوا على الله علانية! كلنا نعرف قصة جاليليو جاليلي والكنيسة.

« قوم محمد (ص) »

إن المشركين العرب لم يكونوا قائلين بوجود الله تعالى فحسب، بل كانوا يعتقدونه مع ذلك خالق هذا العالم كله – حتى آلهتهم – ومالكه وربه الأعلى، وكانوا يذعنون له بالألوهية والربوبية. وكان الله هو الجناب الأعلى الأرفع الذي كانوا يدعونه ويبتهلون إليه في مآل الأمر عندما يمسهم الضر أو تصيبهم المصائب، ثم كانوا لا يمتنعون عن عبادته والخضوع له، ولم تكن عقيدتهم في آلهتهم وأصنامهم أنها قد خلقتهم وخلقت هذا الكون، وترزقهم جميعاً، ولا أنها تهديهم وترشدهم في شؤون حياتهم الخلقية والمدنية، فالآيات الآتية تشهد بما تقول:

قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) (المومنون- ٨٤ إلى ٨٩)

هذه الأمة كالأمم السابقه: أولاً، يشركون بالله في ما وراء الطبيعه ويعتقدون أن الملائكه والصالحين يتدخلون في المصالح الكليه ما فوق نظام العلل والأسباب. ثانياً، كانوا لا يريدون أن يعترفوا لحكم الله دخلاً في المسائل السياسيه والمدنية كربّ الكائنات والعوالم. لهذا كانوا يجعلون الكبار والأشراف من قومهم اربابا في المسائل السياسيه و المدنية وشؤون الحياة و الإجتماع.

« الناس اليوم »

بعد مطالعة دقيقة في الأقوام السابقة ندرك أنّه لا فرق بين المجتمع اليوم ومجتمعات الأمم السابقة. فالناس اليوم يقولون نحن المسلمون الحقيقيون؛ طالما ورثوا الدين من الآباء و الأجداد تقليدياً لكن مع هذا يعتقدون بانهم أفضل الأمم على

الأرض. المقلدون اليوم يظنّون أنهم يعيشون على الإسلام الخالص الذي جاء به محمد صلي الله عليه وسلم، ويعتقدون بالله كالاله الواحد الرازق، القاضي للحاجات، مع هذا يشركون به عن مخلوقاته، ويعتقدون أن الصالحين السابقة (الأنبياء، الأوصياء، والصالحين) معاونين لله، ونحن لأجل هؤلاء المقربين نأخذ الشفاء من الله، والحاجات، والشفاعة. الناس اليوم يعتقدون بالرب، المسئول، الكامل، المصلح؛ ليكن يعتقدون أن الله خلق الكون لأجل افراد مخصوصين، ولا يؤمنون بالله كالرب و المشرع و القيوم و الملك بذاته فقط، بل يشركون بالله في هذه الصفات، و يأخذون الحلال والحرام والقانون من المرشدين وأصبح هؤلاء دين الناس، وبالمقابل المرشدون و الرؤساء دائماً يقولون أن الناس لا يميّزون بين الخير والشر. والناس يعتقدون أن هؤلاء مضوا أعمارهم في الدين ومقربون عند الله و يفهمن الدين ونحن نقلدهم تقليداً أعمى؛ طالما قال الله سبحانه في كلامه:

وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (الاسراء- ٣٦)

ما معنى الطاغوت؟ أي دولة أو صاحب القدرة التي خرج عن حكم الله يريد أن ينفذ حكمه في الأرض فقط و يجبر العباد على طاعته؛ لا فرق بين الإجبار والزور أو التبليغ الخطاء وخداع الناس. على كل حال إذا كان الأنسان يسلّم نفسه لهؤلاء و يطيعهم بلا شك نستطيع أن نقول هذا الأنسان يعبد الطاغوت. إن كثيرا من الناس يحسبون المرشدين أصحاب الأمر و النهي و بدون أي دليل من القران فيطيعون أحكامهم و قوانينهم؛ و جاء في الحديث الشريف: «عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، قال: فسمعته يقول: (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)، قال: قلت: يا رسول الله انهم لم يكونوا يعبدونهم، قال: اجل ولكن يحلون لهم ما حرم الله، فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما احل الله، فيحرمونه، فتلك عبادتهم لهم. في النهاية يجب أن نقول: إن مهمة التفكر والتحقيق في الدين على كل انسانٍ بالغٍ و متفكرٍ حتى لا يقول يوم القيامة:

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) (الاحزاب- ٦٦ إلى ٦٨)

لذلك إطاعة الأمراء و الحكام مشروطة بأن لا تكون أقوالهم وأوامرهم مخالفة للقرآن العظيم لأن مهمّتهم إنما هي تنفيذ القوانين الإلهية و الإسلامية بين العباد و لأنّه:

لا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالقِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (توبه — ٣٤)

الفصل ٢١: الشرك في العبادة

« العبادة »

نفسّرالكلمات الأربعة: الإله، الرب، الدين، العبادة. أفضل تعريف ـ كما قال ابوالاعلى المودودي ـ للعبادة: الخضوع والتذلل، أي استسلام المرء وانقياده لأحد غيره انقياداً لا مقاومة معه ولا عدول عنه ولا عصيان له، حتى يستخدمه هو حسب ما يرضى وكيف ما يشاء. و مفهومها الأساسي أن يذعن المرء لعلاء أحد وغلبته، ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ويترك إزاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقياداً. وهذه هي حقيقة العبدية والعبودية. و لذلك معني عبادة الله هو التسليم مقابل الله الوحيد والركوع مقابل أوامره؛ و عدم الإعراض عن ارادته سبحانه ابداً، و بذلك يكون رضا الله معياراً لأعمال العبد ويتابع الأعمال كما يشاءالله سبحانه. لكن الناس غافلون عن شمول معني هذه المفردة و يحصرونها في الصلاة و الزكاة والصيام و الحج، لكن الصحيح هو أن تفكر الإنسان و نياته و الدعاء، الذبح، نذر، الطواف و الإعتكاف جميعها تعدّ من العبادات. العبادة شاملة واسعة جداً في الإسلام وتشمل جميع أبعاد الحياة للإنسان. جميع العبادات والطاعات و الثناء و انواع الخوف والرجا، المراسم و الشعائر و تعظيمها، و الصدقات، و الانفاق و النذور، الذبح، الطواف، الاعتكاف، الدعاء، التوسل... و معظم النشاطات اليومية تكون جميعاً من العبادات؛ يجب أن يكون المقصد فيها هو الله ولوجه الله، لا لوجه مخلوق آخر. النية و الفكر و العقيدة يفصل العادة من العبادة؛ مثلاً النوم يكون عادتاً يومياً اذا نام الانسان لكي يرتاح نفسه، يكون هدفاً مادياً ليكن عندما يكون عقيدة الانسان عقيدة اسلامية و ينام على طريقة الرسول هذه العادة ينقلب إلى العبادة و ضمناً يرتاح نفسياً و يحسب العبادة ايضاً ويصاب بذلك إذن بشكل عام العبادة كالتالي: العبودية، الإطاعة، التابعية، و التعبد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (النحل- ٣٦)

عبادة الله: تعني أن لا يكون الإنسان عبداً للمرشدين وكبار قومه الذين يتظاهرون بالديانة و يخادعون الناس و يضلونهم بل معناه أن يكون الناس عبدا لله تعالي خالقه و يتبع أوامره و نواهيه و الانبياء بُعثوا ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (الحجر- ٤٩)

العبادة تعني أن الإنسان يُؤدي مقابل موجودٍ آخر عملا كالركوع والسجود و القيام و الطواف و التقبيل و النذر و الذبح وجميع الأعمال التي يتقرب به الإنسان، ولا فرق أن يظن هذا الموجود إلهاً كبيراً و مستقلاً أو يؤمن بأنه يكون وسيلة للشفاعة والتقرب إلى الله أو يؤمن بأنه شريك مع الله في تدبير أمور العالم، أو يدعوه عند المصائب والآلام والفقر

ويطلب منه ألمأواه، في جميع هذه المفاهيم جاء في القران أنها يكون عبادة لدون الله وليس العبادة لله، والمخلوقات جميعاً عباداً لله ويحتاجون له وهو الله؛ هو مالك السموات والأرض وما فيها وهو المدبر الأمور ولهذا لا يحق لاح دان يُتعبد ويُطيع.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ (الانبياء- ٢٥)

« الدين »

مفهوم هذه الكلمة يبتني على أربعة الأمور:

١- الحاكمية والسلطة العليا.

٢- الإطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة.

٣- النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية.

٤- المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والإخلاص له أو على التمرد عليه والعصيان له.

الآيات قد وردت كلمة (الدين) في القرآن في المعني الأول و الثاني بمعنى السلطة العليا، ثم الإذعان لتلك السلطة وقبول إطاعتها وعبديتها. والمراد بإخلاص الدين لله ألا يسلم المرء لأحد من دون الله بالحاكمية والحكم والأمر، ويخلص إطاعته وعبديته لله تعالى إخلاصاً لا يتعبد بعده لغيره الله ولا يطيعه إطاعة مستقلة بذاتها. معناه أن تكون إطاعة المرء لغير الله – أياً كان هو – تابعة لإطاعة الله تعالى ومتضمنة فيما قد رسم لها من الحدود. فالطاعة الولد لوالده وإطاعة المرأة لزوجها، وإطاعة العبد أو الخادم لسيده وما شاكلها من الإطاعات، إن كانت بأمر من الله ومتضمنة فيما قد وضع لها من الحدود فإنها عين إطاعة الله. وأما إذا كانت خارجة عن تلك الحدود أو مستقلة بذاتها، فإنها البغي والعصيان. وقل مثل ذلك في الحكومة، فهي إن كانت مبنية على القانون المنزل من عند الله تعالى قائمة بإنفاذ حكم الله في أرضه فإن إطاعتها واجبة أما إذا لم تكن كذلك، بل كان أساسها القوانين الوضعية، فإن إطاعتها جريمة.

المراد بـ (الدين) في المعني الثالث هو القانون والحدود والشرع والطريقة والنظام الفكري والعملي الذي يتقيد به الإنسان فإن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتباعه قانوناً من القوانين أو نظاماً من النظم سلطة الله تعالى، فالمرء لا شك في دين الله عز وجل، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك، فالمرء في دين الملك، وإن كانت سلطة المشايخ والقسوس فهو في دينهم. وكذلك إن كانت تلك السلطة سلطة العائلة أو العشيرة أو جماهير الأمة، فالمرء لا جرم في دين هؤلاء. وموجز القول أن من يتخذ المرء سنده أعلى الأسناد وحكمه منتهى الأحكام ثم يتبع طريقاً بعينه بموجب ذلك، فإنه –لا شك– بدينه يدين.

قد وردت كلمة (الدين) في هذه الآيات بمعنى المحاسبة والقضاء والمكافأة.

في المعنى الأول والثاني (الحكمية وقبولها):

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (يوسف- ٤٠)

في المعنى الثالث (نظام فكري والقانون):

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (الشورى- ٢١)

في المعنى الرابع (المحاسبة والجزاء):

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) (الانفطار- ١٧ و ١٨)

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (التوبه – ٣٤)

الفصل ٢٢: أركان الإيمان

كما ذكر سابقاً الإيمان و العقيدة مسألتان لا تحصلان إلا بالتفكر في القران وآياته، والقران يكون المرجع الوحيد يوم القيامة للعقيدة و الإيمان. كثير منا عشنا مع تحميل أفكار الآخرين و عقائدهم، و الآن حان الوقت لأن نترك الأفكار التي تخالف القرآن كما أن سيدنا إبراهيم أراد أن يذبح فلذة كبده لأمر الله تعالي، فعلينا ايضاً أن نذبح الأفكار الخرافية الباطلة التي ألقيت علينا بلا حجة وبرهان من غيرالله سبحانه علي ضوء كتاب الله تعالي، و لاشك أن هذا الأمر في بداية الأمر صعب علي كل أنسان لكن عندما يؤمن بالله و بمواعيده يكون عمله هذا سهلا عليه و إن عاش مع هذه الأفكار برهة من الزمان و اعتاد بها. أعلن الله للسعادة في يوم القيامة شرطين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقره- ٨٢)

الشرط الأول: آمنوا، والشرط الثاني: عملوا الصالحات. وكرر هذان الشرطان في أكثر من خمسين آية (آمنوا و عملوا الصالحات)، للتأكيد على هذا الأمر، وحتى بيّن الله لنا معايير الإيمان والعمل الصالح. مع الأسف الشديد في مجتمعنا مع أركان الإيمان التي بينها الله تعالي لنا في كتابه و علي لسان نبيّه (ص) يُطرح مفاهيم آخر لا وجود لها في القرآن الكريم و لا في السنة النبوية الصحيحة. مصاديق الإيمان في القرآن:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا (النساء- ١٣٦)

إذاً مصاديق الإيمان هذه الأمور الخمسة: ١. الإيمان بالله، ٢. الإيمان بالملائكة، ٣. الإيمان بالرسل، ٤. الإيمان بالكتب، ٥. الإيمان بيوم القيامة. انظروا إلى هذه الآية:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (البقره- ١٧٧)

الإيمان يعني: العلم بالأمور الخمسة التي ذكرت سابقاً ثم اليقين بها. الإيمان يعني: اليقين بالله الواحد و الرب و الخالق، عالم الغيب و الحاضر، وأن الإنسان يعبده ويتّبع دينه. بعد إيمان بوجود الله إيمان بصفاته؛ يعني إنسان بعد إيمان بذاته يؤمن بجميع صفاته: الرحمن، الرحيم، الخالق، العادل،... وايضاً نعتقد أنه هو الواحد في ذاته وصفاته ولا سبيل لمخلوق بصفاته. وذكر في القران تسع وتسعون صفتا من صفات الله بأسماء الحسنى. ومن جملة الإيمان بالله؛ القضاء والقدر:

يعني الإنسان يؤمن مع علم بالقرآن أنّ كل شيء من الخير والشر في الدنيا يكون من طرف الله ولابتلائه. ويجب في الإيمان بالله أن نراعي شرط التوحيد؛ يعني إقرار بوحدانيته ولاشريك له ولا واسطة بينه و بين عباده. إذن خلاصة الإيمان يعني: إيمان بذات الله و صفاته و القضاء والقدر و الإيمان بأصل التوحيد.

الأصل الثاني من الإيمان بالغيب: إيمان بالملائكة، يعني الإنسان يؤمن بالملائكة كمخلوقاتٍ في العالم الغيب جميعاً سواء ذكر أسمائهم في القرآن أو أشار إليهم. كل شيء يتعلق بالملائكة أخذناه من القران عندما سمعنا شيئا من الملائكة عن كلام الناس أو كتابٍ آخر غلوا في شأن الملائكة أو مغايرا للقران نرفضه ولا نقبله، كلها كذب وثمرة أذهان الناس ونحن لا نقبلها ألا ما جاء منها في القرآن و الحديث النبوي الصحيح.

الأصل الثالث من الإيمان بالغيب: الإيمان بالكتب السماوية، والإنسان يؤمن بالكتب السماوية مثل: الزبور، التوراة، الإنجيل والقرآن كوحي عن عالم الغيب ويعتقد أن القرآن آخر كتاب سماوي أنزله الله تعالى للبشرية.

الأصل الرابع من الإيمان بالغيب: الإيمان بالرسل؛ أن الإنسان يؤمن بالرسل جميعا كنوح و إبراهيم... الذين كانوا رابطا بين عالم الغيب وعالم الطبيعة و نؤمن أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين من طرف الله سبحانه.

الأصل الأخير من الإيمان بالغيب: الإيمان بيوم القيامة؛ وهذا يعني أن الإنسان يعتقد بيوم القيامة كخاتمة لعالم الطبيعة و بداية لعالم الغيب الذي فيه تكون يوم الحساب وكتاب وحشرا للإنس والجن، وهذا اليوم جاء في القران بالأسماء المختلفة كيوم الفصل، الساعة، الحاقة... والإيمان بالنار والجنة تكون من جملة إيمان بيوم القيامة وكل ما عندنا من العلم بالآخرة والنار والجنة أخذناه من القران كافياً ومبسطاً ولا نقص فيه. لقد ورد في القرآن كثير من أحوال يوم البعث و القيامة وعذاب النار ولذة الجنة لهذا كلما سمعنا غلوّاً و إفراطاً من الجنة والنار مغايرا مع القران نرفضه ولا نقبله.

مع العلم بالأشياء المذكورة، ما رأيكم بالنسبة للعقيدة و الإيمان هذان الشخصان اللذين يأتيان ذكرهما أيهما ذا عقيدة و الإيمان الصحيحة؟

الأول: الذي يبدأ بالقرآن في تصحيح عقيدته ويتوكل على الله في طريق إصلاح عقيدته يفكر في القرآن. الثاني: الذي ترك القران ويقلّد المشايخ المتظاهرين بالدين في مفاهيم الغيب ويصدق أي كلام أو حديث مجعول و موضوع. الإيمان يشبه بكأس جميل الذي ليس فيه خلل ولا عوج ولانقص ولا زيادة. لأن الله ذكر لنا جميع مصاديق الإيمان في القران، الإيمان بالأمور الخمسة التي ذكرت سابقاً يكون إيمانا بالغيب لان الله خلق عالم الغيب وعالم الطبيعة، والملائكة تكون مخلوقات من الله في الغيب، والكتب السماوية وحي من الله وصلت إلينا من الغيب، والرسل هم الوسطا بين عالم الغيب وعالم المادة، وسيعلم الإنسان يوم القيامة عن عالم الغيب:

ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) (البقره- ٢ إلى ٤)

ونتابع الموضوع مع المثال؛ انظروا في هذه الآية:

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) (الزخرف- ٥٤ إلى ٥٥)

نبحث طريقة حكم وسلطان فرعون على الناس. إن فرعون كان يذل الناس ويحكم عليهم، هو دائماً كان يقول للناس "أنتم لاتفهمون، أنتم لاتفهمون، أنتم لاتفهمون" في طوال حكمه كان يكرر هذه الجملة دائماً، في البداية كان الناس لا يقبلون هذا الكلام لكن بعد مضي فترة من الزمان، قالوا: يحتمل فينا شيئاً لكي لا نفهم لماذا يكرر هذه العبارة؟ (لا تفهمون) فتصدّقوا كلامه و قالوا لفرعون: إنك دائماً تخاطبنا على عدم الفهم، فقل لنا ماذا نفعل؟ فرعون سلط عليهم وصار أرباباً لهم وكان يراقبهم والناس أطاعوه. و إنّ الحال في كثير من المجتمعات اليوم يكون مشابهاً لزمن فرعون. اليوم كثير من الائمة و المرشدين يقولون للناس "لا يفهم القران الا نحن" والناس يحتجون بهؤلاء و يقلدونهم لانهم ترك القران والتفكر واضلّوا حياتهم الدنيا والآخرة. المرشدين المضلّين حمّلوا على الناس مادمنا نحن موجودين فتفكر الاخرين غير صحيح و بذلك يذلون الناس؛ والناس أنفسهم تركوا القران و التفكر في آياته بحجة أننا لانفهم القرآن.

اليوم نسمع عبارات كثيرة تبتعد الناس عن القران؛ مثلاً "للقران سبعة بطون وفي كل بطن الف طبقة" أو "للقران معنىً واحد ولكن لتأويله معاني شتي" أو "القران الاصلي يكون عند المهدي المنتظر وليس بين أيدينا" و كثير من هذه الجمل التي نستطيع أن نبطلها مع تفكر بسيطٍ في القران؛ وبعد هذه الجمل الضالة لأبعاد الناس عن القران وضعوا أدعية الخرافية حتى يملئون الفاصلة بين الناس والقران ويشغلونهم بها، مثلاً جاء في بعض الكتب احاديث مجعولة؛ اذا قرأت دعاء كذا كذا لك ثواب ألف مرة ختم القران، والناس ايضاً أخذو بهذه الاحاديث و يقرؤا الادعية وتركوا القران. هل هؤلاء المرشدين المضلين يقسّمون الثواب. مع الاسف اليوم الناس يطيعون كلامهم أحسن وأفضل من كلام الله و تركو القران والتفكر و يفكرون أن العبادة هي الصلاة فقط. فواجبنا اليوم أن ننجي الناس من هذه الغفلة و إلا نصبح جميعاً حطباً لنار الغفلة.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢) (المدثر- ٥٢)

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (الانفال – ٢٥)

الفصل ٢٣: الشرك والتوسل عبر التاريخ

يفكر الناس اليوم أن العرب في الجاهلية كانوا يعبدون الاصنام التي صنعت من الخشب و الفضة و الذهب وكانوا يدعونها ويستغيثون بها، لكن هذا التصور غير صحيح، لأن الأصنام كانت عندهم تمثل الملائكة أو الصالحين، وكانوا يطلبون الحاجات منهم و يعتقدون أن هذه الحجارة و الأخشاب ليست لها ذنوب وأنهم لهم ذنوباً كثيرة وكبيرة لذلك لا يستطيعون أن يدعوا الله مباشرة فاتخذوا هذه الأصنام واسطة يتقربون بها إلى الله عزوجل، وعندما فتح رسول الله ﷺ مكة و دخل الكعبة وجد فيها كثيراً من الأصنام التي تمثل الملائكة و الأنبياء بزعمهم مثل صورة سيدنا ابراهيم في يده سهام خشبية وسيدنا اسماعيل وفي يده طائر. فأمر النبي ﷺ بتكسير تلك التماثيل ونظر إلى تمثال سيدنا ابراهيم وقال: "قتلهم الله ماذا صوروا عن آبائنا (أبينا) لا علاقة له بالسهام وما كان يهودياً ولا نصرانياً بل كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين". قسم من الأصنام التي كانوا يعبدونها كانت على صورة الإنسان كهبل كان تمثالاً عن هابيل الذي قتل مظلوماً وقد بنوا له معابد كثيرة. عرب الجاهلية كانوا يعبدون تلك الأصنام و يذبحون لها و يتقربون بها إلى الله عز وجل. جاء الإسلام وعرف الناس حقيقة تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها ويستغيثون بها و يظنون أنها ذكرى من الصالحين و الملائكة الذين هم عباد الله ولا قدرة لهم على الخير و الشر والصالحون هم بشر مثلكم لا يملكون أي طاقة فوق طاقة البشر يقول سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالا (٢٤) (نوح- ٢٢ إلى ٢٤)

قال الدكتور «عبد الجليل عيسى» في تفسيره «المصحف الميسر» في هذه الآية: هؤلاء كانوا الأصنام الخمسة التي هي أهم و أكبر من الباقي و هي أسماء لخمسة من الصالحين المتقين بعد موتهم بنى لهم الناس معابد على قبورهم ثم بعد ذلك صنعوا لهم أصنافاً وأصبحوا واسطة وشفيعاً. كانت تلك الأسماء للصالحين الذين ماتوا فصنع لهم المحبون أصناماً ليتذكروهم ثم بعد قليل أصبحوا يعظمون الأصنام حتى و صلوا من جيل إلى جيل إلى عبادة تلك الأصنام، وقدر روي عن الرسول ﷺ أنه قال في مرض موته: «هؤلاء عندما مات منهم الصالح بنوا على قبره مسجداً وصنعوا له تصاوير وتماثيل هؤلاء شرار الخلق العباد عند الله». ما كانت الآلهة من الجن و الملائكة فقط بل اتخذوا من الناس الذين ماتوا قبلهم آلهة.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) (النحل- ٢٠ إلى ٢٢)

كان العرب في الجاهلية يؤمن بالله الواحد الخالق لكن كانوا يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يطلبوا من الله مباشرة ومن الضروري وجود واسطة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى.

** نكتة: الكافر: الذي لا يؤمن بالله و الملائكة و الرسل و القيامة و ينكر المسلمات من الدين. المشرك: الذي يشرك مع الله تعالى شريكاً أو واسطة وعادة يفعلون هذا العمل من أجل التقرب إلى الله. المنافق: الذي يظهر خلاف ما في قلبه.

دققوا في هذه الآيات:

وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ (٨٨) (الزخرف- ٨٦ إلى ٨٨)

وايضاً:

تُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) (لقمان- ٢٤ إلى ٢٦)

مع العلم بهذه الحقائق نفهم أن العرب في ذلك الزمان لم ينسوا الله كخالق ورازق ورب ولكن لا يعرفونه كما أراد الله عز وجل أن يعرفوه. وهم حاولوا أن يجمعوا بين الله والأصنام و قالوا إن الدعاء يصعد إلى السماء ولكن لا يقبل كلام أحد إلا بواسطة أو نذر أو صدقة أو ذبح لغير الله سبحانه وتعالى حتى تصل حوائجهم إلى الله وهذا شرك بالله و بعد فترة من الزمن تصبح هذه الواسطة تضر و تنفع ولها قدرة على الخير والشر و الغيب. كان العرب في الجاهلية يقولون: نحن لا نعبد الأصنام ذاتها على أنها كل شيء بل نعبدها لتقربنا إلى الله، وهذا مردود مرفوض بنص القرآن.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) (الزمر- ٢ إلى ٤)

ايضاً:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) (يونس- ١٧ إلى ١٩)

صحيح أن كثيراً من الأقوام السابقة كانوا كفاراً لكن المشكلة الأصلية للبشر من البداية إلى الآن كانوا يقاتلون لإزالة الشرك لأن أكثر الأقوام كانوا يؤمنون بالله و يعبدونه ولكن المشكلة الأصلية هنا أن طريق العبادة مليئة بالشركيات.

سؤال لتفكّر: برأيكم هل زالت هذه المشكلة كاملاً الآن؟

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (البقره – ١٦٥)

الفصل ٢٤: توحيد الحاكمية

تمّ إضافة هذا الفصل في الطّبعة الثانية من الكتاب وهو من أهمّ الموضوعات في مجال الشّرك والتّوحيد. موضوع الشّرك في حكم الله وطاعته أثّر بالتأكيد على جزءٍ كبير من المجتمع البشريّ ، بل عانى كثيرٌ من المسلمين من مثل هذه المأساة بغير قصد. قال الله تعالى في القرآن في الآية ٥٤ من سورة الأعراف: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

لقد ذكر موضوع الشّريعة والتّشريع في هذه الآية وفي العديد من الآيات القرآنيّة الأخرى, وأنّ الأمر والنّهي والقانون والحكم بيد الله تعالى وحده. وفي الآية من سورة الأعراف يقول الله تعالى : قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ. ففي مجتمع اليوم للأسف نرى مجموعتين من النّاس. المجموعة الأولى لا تقبل بأيّ شكل من الأشكال الشّريعة وأحكام الله تعالى لِأنّهم ليسوا مسلمين. هؤلاءِ النّاس هم بشكل رئيسيّ من الذين ينتمون إلى الدّيانات الوثنيّة. أمّا المجموعة الثّانية هي من المسلمين وهم إمّا من المشرّعين الذّين أصدروا أحكاماً غير إلهيّة أو وثنيّة أو قوانين بشريّةٍ, فقاموا بالتّعديل على أحكام الله أو إستبدلوها بتلك القوانين الوضعيّة , أو من أفراد المجتمع الّذين قبلوا تلك القوانين. ويطلق على مثل هذه الأفعال الشّرك في الحكومة أو الشّرك في طاعة الله. عادةً ما تتذرّع هذه الجماعات بقولها أنّ قوانين الإسلام وأحكام الله تعالى قديمةٌ وقد عفا عليها الزّمن ولا تلبّي ما يعيشه الإنسان من تطوّر على جميع الصّعد ، وأنّ الإسلام دينٌ شخصيٌّ وليس له الحقّ في التّدخّل في أحكام الدّولة والحكومة.

إنّ الفكر البشريّ حتّى وإن كان نابعاً من جماعة سيبقى قابلاً للوقوع في الخطأ. إنّ الإنسان الموحّد الّذي يعتبر الله هو الخالق الوحيد للإنسان والكون ويَعتبر أحكام الله المصدر الوحيد للعلم والعدل يعلم جيّدا أنّ دين الله محدّدٌ وثابتٌ دائماً ويقوم على المصالح والمفاسد للجماعة والعِرق ... إلخ. لطالَما كان للبشريّة وجهات نظرٍ متعدّدةٍ في صنع القرار ، أي إذا أردنا إطاعة الأوامر البشريّة فهناك دائماً تمايزٌ طبقيٌّ وجماعيٌّ, فمنها الشّيوعيّة والنّصرانيّة والبوذيّة والعلماء والفلاسفة والمشكّكون و النّسويّات ... إلخ. حيث يتمّ تضمين أفكار تلك الجماعات لِما يصدر عنها من قرارات وأحكام. فمن هو الأكثر عدلاً والأعلم بخير عباده من الله تعالى؟ الله هو العدل وأحكامه عادلة أيضا, وهو العليم الحكيم وأحكامه وأوامره مَبنِيّةٌ على المعرفة والعلم. إنّ رفض بعض أحكام الله وقبول بعضها يقود الإنسان إلى تعدّد الآلهة وإلى الشّرك في الطّاعة, وهذا يقود الإنسان إلى الاعتقاد أنّ علم الله تعالى ناقصٌ وأنّ أحكامه غير عادلة ، وأنّ شرعه لم يعد صالحاً لزمن التّقدّم والتّطوّر , وأنّنا نحن العادلون ونعلم أفضل منه تعالى، وأنَّ الأحكام الصّادرة عن مجلس النُّوّاب أو الحكومة أو من المشرّعين الوضعيّين أفضل من أحكام الله تعالى والعياذ بالله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (بقره – ٨٥)

يشمل علم الله كلّ شيء من الماضي والحاضر والمستقبل, ليس بما يتعلّق بالإنسان فقطٌ، بل بالكون كلّه. حكم الله وشريعته حقّ مطلق وعدالةٌ ، وعدم قبول حكم الله هو شرك.

ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (غافر – ١٢)

جميع الأحكام بما في ذلك الحلال والحرام والحدود والقوانين الجزائيّة والوطنيّة والحكوميّة والمدنيّة والجنائيّة وما إلى ذلك يجب أن تكون مستندة إلى شرع الله فقط. كما يجب أن لا تمنع معاداة الإسلام وقوانين الحكّام والدّول ذلك. تنصُّ الدّول غير الإسلاميّة على أنّه ليس من الصّعب على أهل البلد مراعاة قواعد الصّلاة والصّوم وما إلى ذلك ، ولكن بدلاً من شرع الله تعالى تحدّد قواعد وقوانين العقوبات من القوانين الوضعيّة ولا مكان لحكم الله فيها. لقد سمع الكثير منّا اقتباساتٍ عن فصل الدّين عن السّياسة, وهذا عمليّاً يعني الشّرك. فالمجتمعات العلمانيّة وحكّامها منعوا تنفيذ أحكام الله حتّى في البلدان الإسلاميّة. بالإضافة إلى شرك الحكومة الّذي ابتلي به الحكّام غير المسلمين, ابتلي المجتمع بشرك الطّاعة لغير الله. أي الخضوع لأوامر غير الله. إنّ طاعة الله تعني الخضوع له وحده وعبادته وحده . فكما يجب أن نعبد الله وحده، يجب أن نطيعه وحده. في الإسلام طاعة الحكّام و المشرّعين مباحةٌ بشرط أن يطبّقوا شرع الله وأوامره وأن يخضعوا أنفسهم لأحكام القرآن والسّنّة النّبويّة, أمّا إذا ظهر أدنى شكٍّ من الحكّام في صحّة أوامر الله فلا طاعة لهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (نساء – ٥٩)

في الآية السّابقة أعطى الله الأمر بالطّاعة له أوّلاً ثمّ للنّبيّ ﷺ ثمّ للحكّام الذين اخترناهم, الّذين يحكمون بشرع الله في حلّ أيّ نزاع سياسيّ أو فقهيّ أو قانونيّ أو جنائيّ أو غير ذلك, وليست الطّاعة للحكّام الدّكتاتوريّين أو الّذين لا يحكمون بشرعه تعالى. يجب أن يلتزم المرء فقط بأحكام الله تعالى وحكم النّبيّ ﷺ لأنّهما المصدر الرّئيسيّ الوحيد لحلّ الخلاف بين الحكّام والنّاس ، وفي حلّ الخلاف بشكل عامٍ . كثيرٌ من المسلمين يجهلون تعدّد الآلهة في الحكم والطّاعة بسبب الإهمال ، و تجدر الإشارة إلى أنّه في الأيّام الأول للإسلام وحتّى لسنوات عديدةٍ كان المسلمون محاطين تماماً بهذا الأمر, ولكن على مدار مئات السّنين، ومع تقدّم البشريّة وانتشار المدارس الإلحاديّة، تضاءل اهتمام المسلمين بقضيّة الشّرك. إذا كان الحكّام والشّعب يؤمنون بالله وبتوحيد الله فعليهم أن يتوبوا ويقبلوا الله تعالى باعتباره السّلطة

التَّشريعيّة الوحيدة. عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وذَلِكَ ضَعْفُ الإيْمَانِ. رواه مسلمٌ.

في العديد من البلدان الإسلاميّة وغّير الإسلاميّة يتمّ تَنفيذ الأحكام الوضعيّة، ويعيش الموحّدون في هذه المجتمعات ويطيعونها ، إذ لا يملكون القّوة لتغيير نظام الحكم. ففي مثل هذه الحالة لا حرج عليهم ، ولكن إذا صوّتنا للحكّام الفجّار و وافقنا عليهم بأيّ شكلٍ من الأشكال ، فقد وقعنا في الشّرك. إنّ التّصويت للحكّام الّذين لا يقبلون سلطان الله وشَرائعه إهانةٌ كبيرةٌ لشرع الله القدّوس ومشاركةٌ في الشّرك. إنّ الشيء البسيط الّذي يجب الانتباه إليه هو الفتوى والّتي يجب أن تكون في حدود التّوحيد ودين الإسلام وأحكام الله تعالى. فإذا كانت فتوى العالم ضمن هذا النّطاق لكنّه أخطأ فله أجرٌ, وإذا أصاب له أجران, كفتوى قصر الصّلاة. وأمّا إذا كانت الفتوى فاسدة نابعة من حكمٍ غير إلهيٍّ فلا ينبغي اتّباعها بل ينبغي تحذير العالم منها وقيادته إلى طريق الهدى.

إنّ قضيّة التّوحيد والحكم وطاعة الله ليست جديدة. لقد قام جميع الأنبياءِ بلا شكٍّ في الإرشاد لهذا الغرض. فعلى سبيل المثال تأمَّل قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام, تمرّد فرعون وقال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى. والسّؤال هنا هل اِدّعى فرعون أنّه خالق السّماوات والأرض والكون؟ هل اِدّعى أنّه خالق البشر والحيوانات والشّمس والقمر وما إلى ذلك؟ الجواب : لا ، لم يجرؤ أيّ إنسان في تاريخ البشريَّة بأكملها على الادّعاء بأنّه الخالق. كان فرعون نفسه يؤمن بالآلهة المصريّة آمون وستّ. إنّ كلّ من سيدّعي الخلق لنفسه سينعته الجميع بالخرف والجنون. لم تكن عداوة فرعون وموسى أنّ الأوّل ادّعى الخلق لنفسه, بل كانت أنَّ فرعون كان يؤمن بضرورة الاعتراف بحكمه وليس حكم الله تعالى ربّ العالَمين وموسى.

في يوم القيامة عندما يجتمع كلُّ البشر للفصل بينهم ، سيتمُّ إبطال و رفض جميع الشّرائع الفاسدة ، وسيتمّ إنفاذ أمر الله وحكمه فقط ، وسيكون مصير من عصى أوامر الله إلى العقاب الأبديّ في الجحيم لشركهم بالله تعالى. الآيه ٧٢ من سورة المائدة : إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ .

وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

الفصل ٢٥: جهل المقلدين

ترك الناس اليوم كلمة الله و يدعون غير الله وجعلوا جميع الأدعية و الثناء و الاستغاثة و الاستعانة لغير الله ويدعون أنه لا يقبل الدعاء إلا عن طريق الواسطة ويظنون أن جميع الآيات القرآنية التي نزلت في موضوع الكفر و الشرك و الواسطة بين العبد وبين الله كلها كانت للعرب في الجاهلية ايضاً وهم يجيزون التوسل لغير الله سبحانه وتعالى و يدعون أن الآيات التي نزلت في شأن المشركين كلها كانت في موضوع الواسطة و الشركيات التي تتعلق بالأصنام الحجرية. وأن هذه الآيات لا تشمل الإنس و الجن و الصالحين و الأنبياء و الأئمة و الأولياء و يفعلون أفعالاً لا نستطيع أن نسميها إلا عبادة لغير الله تعالى. هل فكرنا حتى الآن ما هو الدليل على هذا الفعل؟ هل أمرنا القرآن الكريم بهذا الفعل؟ هل النبي ﷺ أمر أمته بفعل هذا الأمر؟ كلنا نعلم أنه لا تقليد في الإيمان والعقيدة لأن العقيدة تحصل عن طريق التفكير في الآيات في الآفاق (الطبيعية، الكائنات، مخلوقات الله) والأنفس (خلق الإنسان وعجائبه) والآيات القرآنية (الوحي) هل نستطيع أن نسمي هذه الأعمال بغير التقليد الأعمى؟ أتريدون أن تسمعوا عاقبة الذين يقلدون تقليداً أعمى من القرآن الكريم، إذن اقرؤوا الآيات التالية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) (الغافر- ٤٧ إلى ٤٩)

وايضاً:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) (الاعراف- ٣٧ إلى ٣٩)

وايضاً:

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) (القصص- ٦٣ إلى ٦٦)

جاء في الآيات المذكورة وصف الضالين و المضلين و يوم القيامة، حينما يأتي الضالون ليأخذوا حقهم من المضلين ويقولون نحن كنا في الدنيا نتبعكم سمعاً و بصراً و أطعناكم في الدينا، و بدون أي سؤال قبلنا أمركم ولم نتوقع أن نكون من الضالين، فيجيبهم المضلون نحن لم نضلكم بل أنتم أضللتم أنفسكم ونتبرأ اليوم منكم إلى الله سبحانه، صحيح بأننا أغويناكم في الدنيا و ذلك لأننا كنا غاوين، فوزركم علي أنفسكم لأنكم كنتم تقلدوننا تقليد الأعمى واتبعتمونا بدون تعقل أما كان عندكم من عقل؟

وقد ذكر القسم الأخير من الآية أن الذين يدخلون النار لا يسمح لهم بأي سؤال أو جواب أو جدال. لكن الناس اليوم يقدرون على السؤال و الجواب و المجادلة في آيات القرآن الكريم لكن في الآخرة لا يوجد مجال للمجادلة الضالين واليوم في هذه الحياة الدنيا يمكن لأي إنسان وهو يجلس في بيته ويتنعم في عيشه أن يأتي بالأدلة الضالة لإنكار الآيات القرآنية لكن هذا الإنسان إذا وصل إلى الموت و رأى الموت بعينيه هل يستطيع أن يجادل في آيات الله؟ لطالما كان مختاراً و عنده قوة الاختيار و المجادلة لكن يوم القيامة تسلب منه هذه القوة والقدرة على الاختيار و المجادلة كلياً ويعود عبداً ضعيفاً و ذليلاً فمن الأفضل أن نبحث عن الأجوبة من اليوم ونحن في هذه الحياة الدنيا لأنه يوم القيامة لا يستطيع أن يتكلم أحد إلا بإذن الله سبحانه وتعالى. قال تعالى "ولقد كرمنا بني آدم" وهو أشرف المخلوقات وهو خليفة الله في الأرض فلا يتوقع من هذا الإنسان أن يسلم عقله للآخرين و يطيعهم بدون تفكير.

قَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (الاسراء- ٧٠)

الشيء الذي يلفت النظر توجيه هؤلاء الأعمال التي يقومون بها فهم يقولون نحن نعلم أن الله هو الخالق و القادر و العالم ونعلم أن هؤلاء الأئمة و أولادهم عباد صالحون و هذا العمل الذي نقوم به فقط نريد من هذا الطريق أن نصل إلى الله سبحانه وتعالى ونقرب بهم إلى الله سبحانه و في الحقيقة الدعاء والنذر يكون لله سبحانه لكن بواسطة هؤلاء ينتقل إلى الله. هذا هو نفس جواب المشركين في زمن النبي ﷺ، وهؤلاء المشركون ايضاً يؤمنون بالله الخالق و القادر و الرزاق لكن كانوا يقولون مثلما يقول الناس اليوم. دققوا في هذه الآيات:

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) (يونس- ٣١ إلى ٣٢)

ايضاً:

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) (سوره الزخرف-٩ إلى ١٠)

في الحقيقة الناس اليوم مثل الناس في زمن النبي ﷺ عندما خاطبهم وقال لهم إن هذه الأعمال التي تقومون بها هي شرك بالله سبحانه وتعالى، تعجبوا لأنهم كانوا يظنون أن دينهم هو دين ابراهيم عليه السلام وأعمالهم لها توجيه ديني و الناس اليوم ايضاً يظنون أنهم على الإسلام الخالص الحنيف لكن الإسلام الذي انتقل إليهم من الآباء تقليد مليء بالشرك والخرافة كما قال الشاعر:

"خلق را تقليدشان بر باد داد ای دو صد لعنت بر این تقلید باد"

يعني اللعنة على التقليد لأنه بالتقليد انهدم الناس.

الجاهلية الحديثة تبقى على عقائد الناس كحجاب كبير و المدافعون عن الخرافات والشركيات في كل يوم يزينون هذه العقائد الفاسدة لأنهم يرتزقون من هذه الناس يرون أعمالهم السيئة حسنة ويظنون أنها أفضل الأعمال أحسنها على وجه الأرض و يؤيد ذلك بعض الأفراد ويظنون أن الله يؤيدها و هذا خيال و وهم باطل:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) (الكهف- ١٠٣ إلى ١٠٥)

مع الأسف الشديد الشيء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ يرتكبه المتدينون و يقيمون الحفلات عند قبور الصالحين و الأئمة و الأنبياء و يعتكفون عندها و يبنون المعابد و الأضرحة و يزينون العباب بالذهب و يضيئون الشموع و يقيمون الصلاة عندهم بخضوع وينظرون و يتصدقون بالأموال على ضريحهم ويطوفون بها كالكعبة و يلمسون و يقبلون و يستغيثون بهم لأداء ديونهم و الفرج لشدائدهم و الشفاء لمرضاهم و يطلبون منهم الأولاد و النصر على الأعداء و ايضاً يطلبون الرسائل لأصحاب القبور لكشف حاجاتهم و هكذا يشركون بالله سبحانه وتعالى! هل بنى الرسول صلى الله عليه و سلم على القبور معابداً؟ بعد فتح مكة أمر النبي ﷺ سيدنا علي بأن يهدم جميع القبور و معابد الشرك و البدعة.

سؤال: كيف تتعلق الخرافات بالعقيدة؟

وَلَا تَرْكَنُوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوْا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (هود – ١١٣)
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (نحل – ٢٠)

الفصل ٢٦: موانع التفكر

كما ذكرنا في الفصول السابقة أن الشرط الأصلي لقبول الإيمان عند الله تعالى التفكر و التعقل وكثيراً ما أمرنا القرآن الكريم بالتفكر و الذين لا يفكرون في حياتهم يكونون من المنبوذين عند الله تعالى. جاء في الآيتين أن الذين لا يعقلون ولا يؤمنون يكونون أخبث الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (الانعام- ١٢٥)

وايضاً:

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (يونس- ١٠٠)

وايضاً:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (الانفال- ٢٢)

وللتفكر موانع كثيرة و من أكبر هذه الموانع التعصب للدين، للدولة، للحزب، للقومية. ويكون الإنسان بما يملكه من هذه العصبية مطمئناً و مغروراً ولا يريد أن يسمع أقوال المخالف له ولو سمع لا يقبل، وربنا وصى جميع المسلمين أن يكونوا أهل فكر ونظر و مناقشة في بيئة حرة والنقد يسمع من المسلم وغير المسلم. دققوا في الآية التالية:

فبشر عباد (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ (الزمر- ١٨)

كما جاء في الآية أولوا الألباب الذين يسمعون الكلام ويتبعون أحسنه، أراد الله للمجتمع الإنساني أن يكون ديمقراطياً كاملاً لجميع الأقوام و الرسالات السماوية وحرية الكلام في المجتمع الإسلامي للجميع، فلا يوجد نقص أو زيادة أو تفتيش للعقائد والحرية المالية لجميع الأفراد والجميع متساو في ظل القانون ويستطيع أي فرد في هذا المجتمع أن يتكلم عن عقائده ويناقش و يسمع من الآخرين وبعد السماع يتفكر في أحسن الأقوال والذين يبحثون عن الحقيقة يحتجون بالقرآن لأنه من بين جميع الأقوال هو الأفضل والأحسن و هو القول الواقعي.

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (الزمر- ٢٣)

ومن الموانع ايضاً الكبر و الافتخار بالنفس ويظهر نفسه أما الآخرين أنه شخص كبير ذو أهمية و مع الأسف هذا المرض منتشر في المجتمع فأولئك يهتمون بآرائهم فقط و لا يقدرون الآخرين أبداً و آراء الآخرين لا قيمة لها عندهم ويظنون دائماً أن المجتمع سرق منهم شيئاً غالياً أو منع من تطورهم لا شك أن بعض المجتمعات يحقرون الشخصيات لكن هؤلاء المتكبرين بدلاً من أن يفكروا في الخروج من عبادة العباد وعبودية المرشدين هم يصبحون من المرشدين ولا قيمة عندهم لكلام الآخرين إلا قولهم و هؤلاء يلقون أنفسهم في قعر الضلالة، دققوا هذه هي الصفة التي كانت من إبليس وأصبح الرجيم.

المانع الآخر ايضاً هو عكس المانع السابق الذي يحقر نفسه ويظن نفسه حقيراً ولا يقدر على شيء ويسعى أن يكون كلباً أو غلاماً للآخرين و الهدف النهائي في الحياة الدنيوية التقليد في جميع أمور الحياة (الإيمان والعمل) هؤلاء أذلة في الدنيا والآخرة، المانع الآخر الأهم هو قصر الفكر والأمل وهو سبب في كون الآمال محدودة وقصيرة؛ كثير من الأفراد اليوم أكبر وآخر أمل لهم شراء سيارة، أخذ الشهادة، زيادة الرواتب وعادة. آمال أشخاص تبين عن شخصيتهم وشخصية هؤلاء الأفراد قانعة راضية مما زاد عليهم الظلم والتعدي لا يشتكون قانعون بما عندهم سواء ماعندهم من الخرافة أو الهداية، والذين ذكرنا صفاتهم سابقاً هم يقيناً لا يقرأ أحد منهم هذه النوطة ولو أنكم تابعتم إلى هذا القسم لتبيين طالب الحقيقة عندكم أنتم يقيناً لستم راضين عن المجتمع وتنفرون من الخرافات الموجودة فيه فقط اعلموا أن حل هذه المشاكل هو بيد الله سبحانه وتعالى فقط. دققوا في المثال التالي:

لنفرض أن أباً ذهب مع ولده إلى شاطئ البحر والولد يلعب برمل الشاطئ و يبني بيتاً من الرمل فتأتي موجة فتهدم هذا البيت و يبدأ الولد من جديد ببناء البيت وتأتي موجة أخرى وتهدم البيت وهكذا الولد يبني بيتاً و الموج يهدمه والوالد ينظر إلى ولده ويضحك، تعالوا نوسع نظرنا وننظر إلى البيوت والمدن من الأعلى نرى أهل المدن كالنمل مثل الولد يصنعون البيوت من الرمل والحديد والإسمنت والسيراميك وبعد ٥٠ أو ١٠٠ سنة تنهدم البيوت وتبنى بيوت جديدة وكأن هذا النشاط لا ينتهي:

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (الانعام- ٣٢)

حياة الإنسان ليست تجربة ثانية فلكل شخص مرة واحدة فقط وإصلاح الإيمان والعقيدة ليس من عمل اليد حتى يتعب الإنسان لهذا يجب على كل إنسان أن يضع وقتاً في حياته لتحقيق الإيمان. فعمر الإنسان كالمال في يديه (فلوس) يستطيع أن يشتري لنفسه ثواباً أو عقاباً فالذي أنهى رأس ماله (عمره) ماذا ادخر لنفسه في الآخرة هو خاسر حقيقي. ومع الأسف الناس اليوم يظنون أن الإسلام الواقعي هو الإسلام الذي بين أيديهم لهذا غضوا البصر والسمع ولا يفكرون. ومن الواضح الذي يظن أن عنده أحسن وأفضل اقتراح دائماً لا يدخل إلى طريق الهداية لأنه دائماً يظن أن أفضل شيء له عنده إذن لا قيمة لأي شيء آخر فهو لا يريد أن يسمع شيئاً، مثلاً: الذي يعيش في بيئة ملوثة و اعتاد عليها إذا جاء أحد و دعاه إلى بيئة نظيفة فهو لا يهتم لهذه الدعوة لأنه أنس البيئة الملوثة فهو محروم من لذة البيئة النظيفة.

مسؤوليتنا في هذه الحالة تنبيه الآخرين فقط و في هذا الطريق لا يجوز أن تمنعنا الثروة والقوة وبطش الدولة الأخرى، هو الله الذي خلق الأبيض و الأسود و الطويل و القصير و الغني و الفقير، والرزق ايضاً بيد الله سبحانه يعطي من يشاء وكيفما يشاء، المهم أن نستفيد مما نملك ولا يجوز أن نعيش في الأوهام و في خيال أموال الآخرين.

وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (طه- ١٣١)

لَقَدْ أَنزَلْنا إِلَيكُم كِتابًا فِيهِ ذِكْرُكُم أَفَلا تَعْقِلُونَ (الانبياء – ١٠)

الفصل ٢٧: خطر علماء الدين المتاجرين بالدين

ننتقل هذا الفصل إلى المبحث الذي شغل أذهان كثير من القارئين لهذه النوطة لماذا أسرع مجتمعنا إلى الخرافات؟ قبل أن ننتقل إلى هذا المبحث نريد أن نسألكم عن رأيكم في التالي، هناك جملة أو عبارة تواجهنا دوماً في الكتب و المجلات و التقويم و هي:

"... هو ولد في أسرة مذهبية."

فما رأيكم في الجملة السابقة؟ تفكروا قليلاً، هي تشتمل على مفهوم خادع ومن وجهة نظر أخرى تبين التقليد وكما تعلمون فإن الله تعالى لا يقبل منا التقليد في الإيمان وهذه الجملة تبين احتمالاً أن شخصاً ورث الإيمان من أسرته و في حال وصول أي شخص إلى أعلى درجات العلوم و الفقه فلا قيمة لجهوده في العلم و الدين لأن أصل إيمانه كان تقليداً ولو كان هذا الشخص مرشداً أو إماما لقوم لأضلهم أجمعين ومع تطور المجتمعات لا نستطيع أن نتوقع وصول كل شخص إلى ما يريده من التخصصات التي يحتاجها في الحياة لذلك توزعت الأدوار بين الأفراد في المجتمع فكل شخص يخدم المجتمع بتخصصه الخاص به فأصبحت مجموعة من الأفراد أطباء و مجموعة أخرى مهندسين وهكذا، ودخل فريق إلى الحوزة العلمية فكل فريق يعمل في مجال تخصصه وجميع الفرق يعتمدون عليهم في هذا المجال والفريق الوحيد الذي يخدع الناس ويخرج عن تخصصه ويستولي على المناصب والحكم كفرعون ويضعف جميع الفرق الأخرى هم عباد الدنيا والأموال في هيئات الدين وهذه الحادثة جرت كثيراً في التاريخ فهي ليست بجديدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (التوبه- ٣١)

يحدثني عدي بن حاتم الطائى، قال: أتيت النبي ﷺ وأنا نصراني، وفي عنقي صليب من ذهب، وكان النبي (ص) يتلو الآية المذكورة. فقال: "نحن لا نعبدهم." فقال النبي (ص): "أليسوا يحلون الحرام ويحرمون الحلال، وأنتم تتبعونهم؟" فأجبت: "نعم، بالضبط." فقال النبي (ص): "إذن، عبادتهم تتمثل في طاعتهم." في هذا الأمر، يكون الناس أنفسهم شركاء، لأنهم يمنحون الطواغيت الشرعية، ويخضعون لأوامر غير إلهية، وبهذا الفعل يشركون بالله. هذه الواقعة التي تجري اليوم بيننا كانت سابقاً بين اليهود فهي ليست جديدة كان أئمة اليهود قبل الإسلام آلهة من دون الله تعالى حكموا على الناس زوراً، كانوا يهتمون بجمع الأموال وحفظ المنصب والرئاسة ولو كان الثمن تخريب الدين وانتشار الشرك وتضعيف تعاليم الله. علماء اليهود سابقاً مثل كثير من المرشدين اليوم كانوا يقولون للناس أنتم لا تفهمون التوراة لذلك إذا قابلتم أي مشكلة أو مصيبة تعالوا لنا نحن ندلكم هؤلاء ورقوا التوراة عندما كان يأتي أحد ويريد أن يطلع على التوراة كانوا يبيعون له:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (الانعام- ٩١)

يستطيع قوم موسى أن يقدموا دليلاً عن الله سبحانه أن التوراة كانت في أيدي الأمراء و أئمة القوم وما كان بين أيدينا كاملاً ولكن نحن ماذا نقدم عند الله جل وعلا. القرآن الكريم بين أيدينا وفي بيوتنا لكن لا يتلوه أحد. مثل فارسي:

"تا احمق در جهان است، مفلس در امان است"

يعنى مادام أحمق في الدنيا يكون مفلس في الأمان، مادام الناس لا يقدرون أفكارهم لا يتغير شيء:

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (الرعد- ١١)

جعل الله لأكابر القوم عذاباً شديداً الذين يضحون الناس من أجل كسب المال و الجاه ولم ينبهوا الناس لحقائق الدين.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (الانعام- ١٢٣)

و ايضاً:

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (الاعراف- ٤٥)

الشيء المهم الذي يجب أن ننتبه له أنه ليس دائماً أكثرية التفكر سبب لأرجحيته. في هذا الزمان أكثرية التفكر غير إسلامية فإذا كان الأمر هكذا فيجب على كل شخص أن لايتبع الأكثرية و لايقلد تقليد الأعمى ولايدخل جميع المسلمين في الكفر والشرك وهذا ما يحدث في مجتمعنا. انظروا إلى سيدنا ابراهيم الخليل ولد ونشأ في مجتمع يعبدون الأصنام و التفكر السائد علي المجتمع كان في عبادة الأصنام ومع ذلك ترك سيدنا ابراهيم تفكر قومه وفكر في الآفاق والأنفس ووصل إلى التوحيد الصحيح ولم يقلد تقليد الأعمى للآباء والأجداد وما كان عليه قومه قال تعالى في كلامه لكل عباده.

وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (الاسراء- ١٦)

و بعد تسليم الناس أمور دينهم و دنياهم للمرشدين الضالة و أصبح هذا سبباً لذلة الناس و حقارتهم مع وجود هذا سبباً لذلة الناس وحقارتهم مع وجود هذا كلما تكلمنا عن الإيمان والعقيدة يقولون ايضاً الكلمة السابقة يجب أن نسمع من فقيه و يجب أن نستشير فقيه في قضية الإيمان هكذا اختلط الناس بين الفقه و الإيمان سيدنا بلال رضي الله تعالى

عنه عندما سمع آيتين من القرآن الكريم وصل إلى فكرة التوحيد الصحيح عندما نتكلم عن الدين الخطوة الأولى التي يجب أن نبدأ بها الإيمان والعقيدة ولا نقلد آراء الآخرين و فقههم (ماء قليل، ماء البركة، فرض كفاية، الاستحالة و ...) يستفيد المرشدون الضالة من المفاهيم الفلسفية لخداع الناس (واجب الوجود، ممكن الوجود، وحدة الوجود، حركة الجوهر، الممتنع و ...) أين منزلة القرآن في هذا المجال؟ وأين وظيفة التفكر؟ كان للفلاسفة اليونان أتباع كثيرون منذ زمن طويل في امبراطورية الشرق والغرب؟ لكن عندما نزل القرآن وسطع نوره على الشرق و الغرب كانت مفاهيم القرآن هي الأسهل وهي القابلة للفهم على عكس المفاهيم الفلسفية الصعبة و التي فيها الكثير من اللف والدوران أما القرآن فاعتمد الأدلة الواضحة و الظاهرة كالتفكر في الآفاق والأنفس والقرآن موجود بين أيدي الناس جميعاً ولم يختص بفئة معينة والنبي ﷺ لم يعلم الفلسفة بل علم الإسلام بأسلوب سهل و واضح و معظم الصحابة كانوا من الأميين و من بلاد شتى لكن مع ذلك أدركوا الإسلام وأمنوا به و قاتلوا و قتلوا في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله.

الوصية الأخيرة: الجيل الجديد اليوم أفضل بكثير من الأجيال السابقة من حيث سعة الفكر والتدبر بسبب زيادة العلم و الثقافة و الجميع يعيش في ديمقراطية و وصل هذا الجيل المفكر إلى أن الفوز في الآخرة يحصل بقانون واحد هو قانون الله إيمان بغير شرك وعمل صالح كالصلاة و الصيام و هذا الفوز لا يحصل إلا بالجهد والهمة. وقانون الآخر في المجتمع أسهل قانون المعيشة و الحياة يجيز الإثم و الذنب و فقد الإيمان لماذا؟ لأننا نستطيع أن نطهر جميع الذنوب في شهر محرم عن طريق حضور حملات التعزية والضرب على الرأس والصدر والبكاء!!! إذن الأفضل أن نفكر كثيراً وفي النهاية لا بد أن يعود كل شخص إلى المرجع الأصلي و الحقيقي للعقيدة واليقين بأحكام الله تعالى ويصل إلى المرحلة التي يطمئن فيها إلى خالقه وكتابه و يتوكل عليه ويطهر عقائده من جميع الخرافات الراسخة في. هل وصلنا نحن إلى هذه المرحلة؟

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (الكهف – ٥٤)

الفصل ٢٨: أركان العمل الصالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) (الفاتحه- ٥ و ٦)

كل مسلم في صغر سنه سمع هذه الآيات وكبر معها وعندما يصلي يكرر الآيات السابقة في القسم الأول من الآية نعترف بعبوديتنا لله وحده ونطلب منه الحاجات في القسم الثاني ونطلب أن يهدينا إلى الصراط المستقيم والله عز وجل بوضح لنا هذا الصراط المستقيم في الآية التالية:

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) (الزخرف- ٤٣ و ٤٤)

قال الله عز وجل لرسوله في هذه الآية: إن الصراط المستقيم والهداية تكون في الاتباع المطلق للقرآن وليس في اتباع كلام الآخرين وطلب العلوم والفلسفة إذن عندما يكون إيمان الإنسان قوياً وصحيحاً فهو معرض للابتلاء من الله سبحانه عادة في العام الواحد يبتلي الإنسان بالمصائب بالفقر و المرض أو بالنعم مثل ربح المال، النجاح في الجامعة، المهم أن الإنسان يعلم أن هذا الابتلاء من عند الله سبحانه و تعالى و يعلم ثمرته لذا يتوكل على الله فقط حين الابتلاء:

الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) (العنكبوت- ١ إلى ٣)

حتى الآن تكلمنا كثيراً عن الإيمان والعقيدة في هذا القسم فلنتكلم عن العمل لأن الله عز وجل قرن الإيمان بالعمل وشرط الفلاح في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (فصلت- ٨)

أما معايير الإيمان فهي ستة و قد ذكرت سابقاً:

- الإيمان بالله عزوجل وحده و ترك الشرك في العقيدة لأن الشرك يحبط سائر أعمال الإنسان و الإيمان بالقضاء والقدر
- الإيمان بالملائكة وعدم الغلو في شأنهم
- الإيمان بالرسل وسيدنا محمد ﷺ خاتماً للأنبياء
- الإيمان بالكتب وبالقرآن الكريم آخر الكتب المنزلة
- الإيمان بيوم القيامة والجنة والنار

فالإيمان كافتتاح حساب في البنك والعمل الصالح كوضع الفلوس في هذا الحساب، مادام أحدنا لم يفتح حساباً بنكياً فماذا يفعل بما حصل من العمل، وفي أي حساب يضع المال؟ وكيف يدعي هذا؟ جميع الأعمال الصالحة المذكورة في القرآن الكريم هي إما واجبة فبتركها يأثم الإنسان والواجبات كالتالي:

- الصلاة: هي إحدى الواجبات الوقتية فلها خمسة أوقات في كل ٢٤ ساعة و لكل صلاة أذان و إقامة و هي العمل الوحيد الذي لا يسقط عن الإنسان في حال من الأحوال لا في السفر ولا في المرض ولا في أي حادث وهي العبادة الوحيدة التي وجبت على جميع الناس منذ زمن أبينا آدم عليه السلام و إلى يوم القيامة و وجدت في جميع الرسالات لكن مع الأسف بعد تحريف الكتب السماوية ترك هذا الأمر، لكن الصلاة في الإسلام هي عمل كامل تام من حيث أذكارها وكيفيتها، دققوا في هذه الآيات:

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) (هود- ٨٧)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) (مريم- ٥٤ و ٥٥)

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) (مريم- ٣٠ و ٣١)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣) (البقره- ٨٣)

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) (الانبياء- ٧١ إلى ٧٣)

- الزكاة: وهي الواجب الثاني المذكور في القرآن وهي دائماً مقرونة بالصلاة (أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة) و وجب في المال الزائد عن حاجة الإنسان المسلم وحاجة من تجب عليه النفقة عليهم أسرته ومن يعول والذين لا يدفعون الزكاة استحقوا العذاب والعقاب من الله تعالى. انتبهوا لا يتعلق الخمس بأرباح التجارة و مع الأسف بعض الناس بهيئات الدين يبدلون الحرام بالحلال، فوضعوا الخمس على التجارة و يأخذون أموال الناس باسم الدين، ميزان الزكاة كما تعلمون هو ربع العشر ٢,٥٪ أي: ١ من ٤٠ من المال يجب أن يدفع إلى مستحقي الزكاة و هم الأصناف الثمانية المذكورين في الآية (التوبة ٥٩-٦٠)
- الصوم: وهو واجب على المسلمين في شهر رمضان المبارك.
- الحج: وهو واجب على المسلم القادر على الحج في العمر مرة واحدة.

وبعض الأعمال تجب علينا في أوقات محددة مثل الجهاد والجمعة (الإمام في الصلوات الخمس و في الجمعة يجب أن يكون موحداً)، أما الخمس فهو في الكنز أو الغنائم وليس في أرباح التجارة و بعض الأعمال المستحبة ولا يعاقب تاركها مثل الصدقة أو حسن الخلق و ...

كما ذكر الله تعالى أركان و معايير معينة للإيمان حتى لا يخطئ الإنسان في اختيار الإيمان وذكر الله ايضاً معياراً لتمييز العمل الصالح و هو أن يكون هذا العمل خالصاً لله تعالى يعني كل عمل خرج من مشكاة القرآن الكريم وفيه مرضاة رب العالمين يكون عملاً صالحاً.

وكما ذكرنا سابقاً الذي يؤمن بالقرآن ولا يؤمن برسله أو يؤمن ببعض الآيات ولا يؤمن بالآيات الأخرى أو يأخذ آية و يترك آية أخرى أو المعتقد بتحريف القرآن الكريم يكون كافراً (نساء١٥٠) و ذكرت سابقاً أركان الإيمان بشكل دقيق. وبشكل عام يذكر القرآن الكريم يذكر الأعمال الصالحة بشكل كلي أو جزئي مثل الوضوء و بعض الأعمال الصالحة ذكرت في القرآن مجملة لكن فصلتها سنة النبي ﷺ و بينتّها مثل كيفية الصلاة وما ورد عن عدد الركعات، لهذا طلب القرآن من الناس الاتباع الكامل للنبي ﷺ يعني يجب على الإنسان المسلم أن يؤدي الأعمال كما أداها النبي ﷺ. دققوا في الآيات التالية:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الاحزاب- ٢١)

الأسوة العملية و الأخلاقية لجميع أعمالنا و سلوكنا في الجزئيات التي لم تصرح بها في القرآن الكريم هو النبي (ص)، كما قال الله تعالي:

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (النساء- ٨٠)

وفي الآية السابقة ذكر الله سبحانه و تعالي أن إطاعة الرسول(ص) كإطاعته، و ايضاً:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آل عمران- ٣١)

ذكر في الآيات السابقة ايضاً أن الله جعل أتباع النبي ﷺ معياراً أصلياً لقبول العمل وعرف الله الرسول كمرجع وحيد لأعمال العبادة لجميع المسلمين وعلى كل مسلم أن يطبق طريقة النبي ﷺ في أعماله،لكن في بحث الإيمان والعقيدة على كل مسلم التفكير بنفسه إذن علينا أن نراقب جميع أعمالنا بأن تكون على منهج النبي ﷺ بتحقيق كتب سيرة وسؤال الموحدين والإطلاع على الكتب والانترنت ولم يقل الله عز وجل لأحد أن يتبع علماء زمانه تقليداً أعمى بل جعل الله القرآن والرسول (السنة) مرجعين لكل شخص في أي جيل. يوجد اليوم في العالم فرق كثيرة تدعي الإسلام الحقيقي (مثل بعض الفرق تدعي أن سيدنا علي رضي الله عنه إله و فرق أخرى تجيز شفاعة غير الله و تميز الواسطة). مهمتنا أن ندخل جميع أعمالنا عن طريق مصفاة. القرآن الكريم ونترك الشرك ونحصل على رضا رب العالمين عن طريق اتباع الرسول ﷺ. بالتأكيد نستفيد من أفكار و آراء الموحدين في طريق تحقيقنا، هؤلاء بسبب تقوى الله عزوجل لا يخدعوننا بل يقوى الإنسان في مسيرته، إنّ الموحد ترك الشرك في الإيمان والعمل ويؤمن بيقين بأركان الإيمان و لهذا نستطيع أن نعتمد عليه.

حتى الآن تكلمنا عن الإيمان و العمل الصالح و هنا نقول أن كلاً منهما مكملاً للآخر ولا يكفي بالآخرة الإيمان بغير العمل أو عمل بغير الإيمان يجب أن يكونا معاً كما جاء في القرآن الكريم أن شرط قبول الأعمال الإيمان، فإذا كان في الإيمان قليل من الشرك يحبط جميع الأعمال الصالحة. طالما للإنسان إيمان ويقين بأركان الإيمان السابقة فإن أعماله الصالحة تكون سبباً لنجاته من النار:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (الانعام- ١٥٨)

إذا التزم المسلم بتوحيد الله وفقًا لما ذكرناه، ولم يرتكب الشرك، وتوجه بالدعاء إلى الله وحده، وأدى الفرائض العبادية (الصلاة، الصيام، الحج، الزكاة)، وامتنع عن الكبائر، فإن الله يضمن له الجنة بنسبة مئة في المئة. أما إذا أراد شخصٌ أن يزيد في ثوابه وخيره لأجل آخرته، فقد أعددنا بعد الفصل الأخير ملحقًا يحتوي على أعمال عبادية مستحبة. إن ترك هذه الأعمال المستحبة لا يترتب عليه أي إثم، لكن القيام بها يفتح أبواب الخير والثواب العظيم. لذلك، إذا كنا نبحث عن ضمان الجنة، فيمكننا الاستفادة من هذا الملحق بدلاً من اللجوء إلى الأعمال الخرافية.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (التوبه – ٣٤)

الفصل ٢٩: قيمة أهل البيت والصحابة

سنتكلم في هذا الفصل عن أصحاب الرسول ﷺ. كما تعلمون أن دعوة النبي ﷺ بعد البعثة كانت دعوة سرية لمدة ثلاث سنوات وفي هذه المدة أسلم تقريباً أربعون شخصاً، ومن الأولين الذين أسلموا في هذه الفترة: خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ، علي ابن أبي طالب، زيد بن حارثة، أبو بكر الصديق، عثمان بن عفان ذو النورين، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، طلحة، عمار بن ياسر، بلال الحبشي، صهيب الرومي، أبو ذر الغفاري، جعفر بن أبي طالب. وبعدما جهر النبي ﷺ بالدعوة أسلم عدد كبير منهم: حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، عمر بن الخطاب، نعيم بن عبد الله، عامر بن فهيرة، عبد الله بن مسعود، أبو حذيفة بن عتيبة. هؤلاء الذين أسلموا في هذه الفترة أصبحوا من كبار الصحابة في العقيدة و الإيمان و جاهدوا و قدموا أموالهم و أنفسهم في سبيل الله، وبعد عشر سنين من الدعوة والتبليغ في مكة هاجر النبي ﷺ مع أصحابه إلى المدينة المنورة وخاطب القرآن الكريم أصحاب النبي الذين هاجروا معه وسماهم المهاجرين وأصحابه في المدينة الذين نصروا المهاجرين بالأنصار. بعد الهجرة إلى المدينة أسلمت قبيلتا الأوس والخزرج و قد كانت رحى الحرب دائرة فيما بينهما، كما أسلم عدد من يهود المدينة. المهاجرون والأنصار ضحوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم في سبيل نصرة الإسلام وجهاداً في سبيله والله سبحانه وتعالى يقول في منزلة المهاجرين والأنصار:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبه- ١٠٠)

وفي هذه الآية بين الله سبحانه رضاه عن المهاجرين والأنصار الذين خدموا الإسلام طوال حياتهم وجعلهم الله قدوة و أسوة للذين من بعدهم وتكلم الله كثيراً في شأن المهاجرين و الأنصار وجاء ذكرهم في القرآن بإحسان و أعد لهم الجنة جميعاً، الإسلام الذي تنعم به اليوم هو ثمرة تضحية المهاجرين والأنصار. دققوا في هذه الآية:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الفتح- ٢٩)

مع الأسف الشديد اليوم بعض الجهال يلعنوهم و يسبوهم إذا قرؤوا القرآن واطلعوا على ما قدموه فلن يفعلوا ذلك:

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) (ق- ١٧ و ١٨)

دققوا في الآيات التالية التي جاء فيها وصف المهاجرين والأنصار وتابعيهم (يشمل مسلمي اليوم كذلك):

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)
(الحشر- ٨ إلى ١٠)

أولاً جاء وصف المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأولادهم يتبعون فضلاً من الله ورضواناً وكانوا دائماً في نصرة الله ورسوله وأولئك هم الصادقون الأنصار الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وأنفقوا أموالهم للمهاجرين وأولئك هم المفلحون. وبين الله مسؤوليتنا في شأن المسلمين قبلنا وبالأخص المهاجرين والأنصار. ومهمتنا بعد الدعاء لهم بالمغفرة ألا نجعل في قلوبنا غلاً لهم و ندافع عنهم ضد أي تهمة تتوجه لهم. يجب علينا منذ الآن أن نحب الصحابة و التابعين حباً صادقاً لأن الله عز وجل رضي عنهم ونغمض عيوننا عن خطاياهم لأنهم بشر وكل البشر خطائين وخير الخطائين التوابون بدلاً من المجادلة في اختلاف نظراتهم فلنتبع نهج النبي ﷺ في طاعة الله ورسوله و نعد أنفسنا ليوم الآخر:

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (البقره- ١٤١)

ومن الذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وأسلم أزواجه: خديجة بنت خويلد، سودة بنت رفعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر بن الخطاب، زينب بنت خزيمة، أم سلمة بنت أبي أمية، زينب بنت جحش، جويرية بنت الحاث، أم حبيبة بنت أبي سفيان، صفية بنت حيي بن أخطب، ميمونة بنت الحارث. قال الله تعالى في شأنهم:

النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (الاحزاب- ٦)

كما نغار على الله والقرآن والرسول والكعبة، علينا أن نغار على أمهات المؤمنين (زوجات الرسول الأكرم) وعلى المهاجرين و الأنصار و التابعين، و يجب على كل واحد منا أي المسلمين أن يكون خليفة الرسول صلي الله عليه و سلم، في أي مكان كان، في الدولة، في المدينة، في الحي، كما نتبع القرآن في الإيمان ونتبع الرسول في العمل، وتكون طاعتنا لله ورسوله كما كانت طاعة المهاجرين والأنصار وندافع عن أزواج النبي ﷺ كما ندافع عنا أمنا وأختنا، وقد وبخ الله عز وجل في ٢٥ آية من سورة النور الذين اختاروا السكوت عن التهمة التي وجهت للسيدة عائشة ولم يدافعوا عنها:

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) (النور- ١٢ إلى ١٤)

ومهمتنا في العصر الحاضر: أن ندافع عن الله ودينه ورسوله وجميع أزواج النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين جميعاً، مع الأسف الشديد يظن كثير من الناس أنه بعد وفاة الرسول ﷺ حدث جدال صعب بين الصحابة و أزواج النبي ﷺ وهذا مخالف للواقع والتاريخ غير المحرف و الآيات السابقة حجة على هذا. بعد وفاة الرسول ﷺ ضحى الصحابة و زوجات الرسول بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الإسلام. ولنذكر ختاماً نموذجاً من علاقات الصحابة قبل وفاة الرسول وبعدها حتى نعرف علاقات الصحابة فيما بينهم.

عائشة بنت أبي بكر الصديق (الخليفة الأول) هي الزوجة الثالثة للنبي الأكرم ﷺ. حفصة بنت عمر بن الخطاب (الخليفة الثانى) هي الزوجة الرابعة للنبي ﷺ. رقية بنت النبي ﷺ: هي زوجة سيدنا عثمان بن عفان (الخليفة الثالث) وبعد وفاتها زوجه النبي بنته الثانية أم كلثوم. فاطمة بنت الرسول ﷺ: هي زوجة سيدنا علي بن أبي طالب (الخليفة الرابع)، سيدنا علي بن أبي طالب زوج ابنته أم كلثوم من سيدنا عمر بن الخطاب، بعد وفاة أبي بكر الصديق تزوج سيدنا علي أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً، سيدنا حسن بن علي (الخليفة الخامس) زوج حفصه حفيد سيدنا أبي بكر الصديق، حفيد عثمان بن عفان الخليفة الثالث عبد الله بن عمر تزوج من حفيدة علي بن أبي طالب الخليفة الرابع فاطمة بنت الحسين ين علي بن أبي طالب. وكثير من هذه العلاقات (المصاهرة) وردت في كتب السيرة وهي معلومة و أظهر من الشمس. بعد مضي قرون من هذه الحوادث التاريخية المذكورة وقبل أن نسمع كلام أي شخص يسب الصحابة وأزواج الرسول نرجع إلى المرجع الوحيد وهو القرآن الكريم ونحقق النظرة القطعية القرآنية في هذه القضية.

وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (الانفال – ٧٤)

الفصل ٣٠: طرق عملية لترك المعصية

الابتعاد عن الذنوب: قائمة بأخطر الذنوب التي يجب على الإنسان تجنبها بأي ثمن:

الشرك، الكفر، النفاق، السحر (من مات على أحد هذه الذنوب ولم يتب، فسيكون في جهنم إلى الأبد ولن يُغفر له، كما جاء في القرآن)-

القتل، الانتحار، الزنا، اللواط، تغيير الجنس، الظلم، الربا، السرقة، الغيبة و البهتان، ترك الفرائض، أكل لحم الخنزير، شرب الخمر والقمار و .. (الذنوب الكبيرة التي نهى الله عنها حتى عن الاقتراب منها).

لا ننسى أن حتى لو ارتكب الإنسان هذه الذنوب، فإن باب التوبة مفتوح، والله الرحمن الرحيم يغفر جميع الذنوب. التوبة لها وقت محدود، ويجب على كل شخص أن يتوب فورًا، لأنه لا أحد يعلم متى يحين أجله. كثير من الناس ناموا على أمل حياة طويلة، ولكن جاء أجلهم فجأة، وفاتهم وقت التوبة- فلنتب جميعًا الآن توبة خالصة لخالقنا العظيم، ونجدد إيماننا:

(قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ – زمر ٢٣).

طرق عملية لترك المعصية: في هذا القسم، نعرض بعض الوسائل العملية لترك الذنوب. فكم من أناس لديهم نية صادقة لترك المعصية، لكن بسبب ضعف الإرادة يعودون إليها مجددًا.

١– التوبة: أهم عمل في ترك الذنب هو التوبة الصادقة، أي أن يتوجه الإنسان بإخلاص إلى ربه، ويطلب من الله المغفرة، ويعزم على ألا يعود إلى الذنب أبدًا. يمكن أداء التوبة في أي وقت وأي مكان. في القرن الثاني الهجري، كان هناك رجل يُدعى الفضيل بن عياض، وكان فاسدًا، قاطع طريق، ولصًّا في الليل. كان الفضيل مع مجموعة مسلحة يترصدون القوافل القادمة من الكوفة إلى مكة ويسلبون أموال الناس. ذات ليلة، تسلق الفضيل جدار منزل ليرتكب معصية، وفجأة سمع صوت تلاوة آية من القرآن من داخل البيت:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ *(الحديد – ١٦)*

دخلت الآية إلى قلبه كالسهم، فنزل من الجدار واختبأ في خراب. وهناك، بعينين دامعتين، رفع يديه بالدعاء وقال: "يا رب، أعزتك أقسم، إن غفرتَ لي، فلن أعود إلى الذنب أبدًا". وفي تلك الليلة، تاب الفضيل توبةً صادقةً نصوحًا. ذهب إلى المسجد الحرام، وقضى لياليه في العبادة والزهد، وتلاوة القرآن، وموعظة الناس. ذلك الذي كان يومًا مصدرًا للخوف، أصبح من أزهد وأعبد رجال زمانه. روى عنه كثير من التلاميذ، مثل عبد الله بن المبارك، وكانت أقواله في التقوى والزهد مصدر إلهام للعارفين والزهاد بعده. إن وقت التوبة من أعظم الأوقات لقبول الدعا.

٢– التقوى: تعني ضبط النفس، والخوف من الله، وترك المعصية خالصًا لله وحده. التقوى تعني أن يتذكّر الإنسان الله في لحظة الوقوع في الذنب، ويمتنع عن المعصية تعظيمًا لله سبحانه وتعالى. كما فعل النبي يوسف عليه السلام حين هرب من المعصية، وفضّل السجن على أن يرتكب الذنب. فإن صادف أحدنا ذنبًا، فليتوجه إلى الله بإخلاص ويقول: "يا خالقي ويا ربي، إني لا أرتكب هذا الذنب من أجلك، فامنحني في المقابل خيرًا آخر". تلك اللحظة من التقوى

الخالصة لله هي من أعظم أوقات الدعاء. والله سبحانه وتعالى، مكافأةً على هذه التقوى، سيمنحك خيرًا عظيمًا في حياتك. قد يحدث ذلك في يوم، أو سنة، أو بعد عشر سنوات، لكنه بلا شك، سيمنحك جزاء هذا العمل الصالح في الدنيا إلى جانب الأجر في الآخرة.

٣- ترك البيئة الفاسدة: إذا كان الإنسان في بيئة فاسدة تزيد من احتمالية الوقوع في المعصية، فعليه أن يترك تلك البيئة، سواء كانت مجلسًا، عائلة، مدينة، أو حتى بلدًا. إذا كان لديك أصدقاء يشجعونك على المعصية، فاتركهم لوجه الله. وإذا كنت تقيم في مدينة يكثر فيها انتشار الذنوب، فاهجر تلك المدينة لوجه الله. وإذا كانت هناك وسائل إعلام مثل بعض القنوات التلفزيونية أو الفضائيات أو المواقع الإلكترونية تروّج للمعاصي، فامتنع عن متابعتها تعظيمًا لله.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)﴾ (الفرقان – ٢٨-٢٧)

٤- الذكر: الذكر الدائم لله وأسمائه المباركة هو من أهم الوسائل لترك المعصية، ويوصي مؤلفو هذا الكتاب بهذا الأسلوب بشدة. فلنحاول تكرار الأذكار التالية كل يوم، على الأقل ألف مرة أو أكثر إن استطعنا. الذكر المستمر لله يزيل تلقائيًا تعلق القلب بالمعصية. والذكر يمكن القيام به في أي لحظة: أثناء المشي، التسوق، التمارين، أثناء العمل أو الدراسة، أثناء السفر، داخل الطائرة أو السيارة، وغير ذلك. وقد ذكر أحد العلماء، عبد الرحمن الحياني، أن رجلاً جاء إليه وقال: "أنا أكرر ذكر أستغفر الله ثلاثين ألف مرة في اليوم". فسأله الشيخ: "*ما أثر هذا الذكر في حياتك؟*" فقال: "والله، كل حاجة أطلبها من الله تعالى، يحققها لي". وهذا من رجل قلبه متصل بالله في كل لحظة. وهذا الأسلوب مفيد جدًّا لأولئك الذين يبحثون عن الزواج، الرزق، الأولاد، النجاح في العمل أو الدراسة، وغير ذلك. كرّر أذكارًا مثل: (أستغفر الله، سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر، لا إله إلا الله) عدة آلاف من المرات يوميًا، قدر استطاعتك. وتأمل في نصيحة النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ (نوح – ١٠-١٢)

لعدّ الأذكار، يمكن استخدام أدوات التسبيح التالية، وأفضل ما نوصي به هو استخدام السبحة الرقمية.

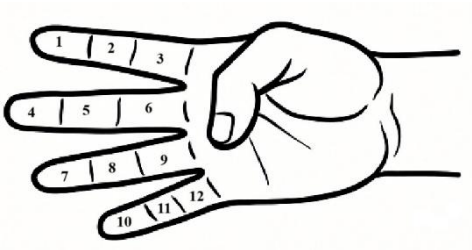

٥- الإصلاح: أي أن نقوم بإصلاح الدافع الأساسي الذي يؤدي إلى المعصية. على سبيل المثال، الشاب الذي يواجه فتنة الشهوات، يمكنه أن يعالجها بالزواج. ومن يعاني من البطالة، فليصلح مشكلته بالبحث عن عمل مناسب. فلنترك

الأصدقاء الفاسدين وندخل في دائرة الأصدقاء الموحدين والمؤمنين. ولنتجنب المال الحرام ونسعَ لكسب المال الحلال. ونطهر حياتنا من وسائل الإعلام التي تروّج للمعاصي، وندعم وننشر الوسائل الإعلامية النظيفة والإسلامية.

٦– الدعاء: الدعاء هو أعظم سلاح للمؤمن. اطلبوا العون من الله تعالى من خلال الدعاء لترك الذنوب والمعاصي. لا ينبغي أن ينقطع الدعاء حتى لحظة الموت، ولا يجوز للإنسان أن يظن في أي وقت أنه لم يعد بحاجة إلى الدعاء. في الحقيقة، حتى لو بلغ الإنسان في حياته درجة من الغِنى والكفاية، وكان يتمتع بصحة جسدية تامة، ومال وفير، وحياة مريحة وسعيدة، وأسرة مثالية، وشعر بأنه وصل إلى أعلى درجات النجاح والاكتفاء—فلا بد له مع ذلك أن يجد شيئًا يدعو الله به، حتى لو كان طلبًا بسيطًا كالحصول على تمرة واحدة. فالله يرضى بدعاء عباده، ومن خلال الدعاء يمنحهم الله خيرًا أعظم في الدنيا والآخرة. حتى صحابة النبي ﷺ كانوا يدعون الله لأبسط حاجاتهم، مثل علف الدابة أو النعال. لذا، مهما كانت حاجتك، فاطلبها من الله بالدعاء. وإن لم تكن لك حاجة حاضرة، فاختر لنفسك حاجات جديدة واطلبها من الله عز وجل.

الفصل ٣١: حسن الختام

أهنئكم لإتمام مطالعة هذا الكتاب. أدرك أهل الحقيقة أن الدلائل المذكورة في الكتاب من القرآن وبعده عن أي تعصب. لماذا لم نصل إلى التطور والتقدم مع وجود الثروات الباطنية من النفط و الغاز و المعادن و وجود الأرض الخصبة واليد العاملة؟ بعد بيان الفصول السابقة نستطيع أن نصل إلى هذا الدليل وهذا الدليل هو في الفكر والعقيدة. المشكلة التي أصر العديد من المفكرين مثل الأستاذ مصطفى حسيني طباطبائي، الشيخ محمد صالح پردل، والدكتور يونس يزدانپرست على إصلاحها وسنبحث هذا الموضوع في هذا الفصل. كما تعلمون أنه من صفات الله تعالى أنه الرزاق والله عز وجل لا شريك له فلا يستطيع أحد أن يدعي أنه شريك رزق المخلوقات، ونعلم ايضاً أنه أكبر مشكلة تشغل الفكر منذ القديم حتى الآن هي مشكلة الرزق. الناس اليوم في طلب الرزق والمعيشة اليومية مثل رباط أو جهاز إلكتروني يعملون لكسب الرزق صباحاً مساءاً وهم لا يدركون ويشعرون بهذا، انتبهوا للآيات التالية، بين الله سبحانه وتعالى في كلامه العزيز أن رزق جميع المخلوقات في يده ومدح سعي الإنسان لطلب الرزق لكن لا يجوز أن يكون الرزق هو الغاية والهدف من الحياة بل هو وسيلة للوصول إلى الهدف الأصلي وهو الإيمان والعمل الصالح إذا وضع الإنسان أمامه عشرة صحون من الطعام فإن رزقه ما أكل من الطعام لا هذه الصحون العشرة. لو أن إنساناً اشترى بيتاً غالي الثمن في مدينة مرتفعة الأسعار فإن رزقه هو المكان الذي ينام فيه بالليل (متر في مترين). ربنا سبحانه وتعالى قدر لكل إنسان رزقه في القرآن الكريم وطلب من الناس ألا يجعلوا الرزق هدفاً بل وسيلة للوصول إلى رضاه سبحانه وتعالى والذين يجتهدون كثيراً في طلب الرزق يوسع الله لهم لكن كما جعل الله بعض الناس سوداً وآخرين بيضاً، ومنهم السمين والنحيف، والطويل والقصير، كذلك في مسألة الرزق، فمنهم الغني و منهم الفقير، انتبهوا إلى هذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) (الروم- ٣٦ و ٣٧)

أكد الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أن الرزق في يده وأنه لن يموت أي إنسان حتى يستكمل رزقه (لا نسألكم رزقاً نحن نرزقكم) فالهدف الأصلي للإنسان معرفة الله وعبادته لكنه ترك ذلك وجعل طلب الرزق هو الهدف. و من الواضح حتى الآن أن الإنسان يواجه في حياته أحوال مختلفة كالسرور و النعم و المصائب و النقم. تيقنوا أن ما بقي من العمر في هذه الدنيا يمضي وكما أتانا الرزق فيما مضى سيأتينا فيما بقي، فهل من المعقول بعد أن علمنا هذا أن نجعل الرزق الذي تكفل الله لنا به ولجميع مخلوقاته هدفاً ونكون من الغافلين:

وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) (طه- ١٣١ و ١٣٢)

و ايضاً:

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (هود- ٦)

إذا جعل الإنسان الإيمان بالله و العمل الصالح هدفاً في حياته وسعى لكسب رزقه و جعله وسيلة لتحقيق الهدف الأصلي فإن الله يجعل له الكون بأكمله معيناً له في تحقيق هدفه، والذي عنده الإيمان الصحيح بعيداً عن الشرك و معيار عمله الصالح هو مرضاة الله وطلب من الله السعة في الرزق لسخر الله له خزائن السماوات والأرض:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) (الاعراف- ٩٦ إلى ٩٨)

لو تذكرتم ما قلنا في الفصول السابقة بأن الله سبحانه يرزق المؤمنين والكافرين جميعاً في الحياة الدنيا فالمظاهر المادية المزيفة في الغرب تخدع الإنسان لكن وظيفتنا أن نجعل رزق الدنيا وسيلة لتحقيق الهدف الأصلي، وإذا أردنا أن يوسع الله علينا في الرزق فيجب أن نطلبه من الله و نجعله وسيلة للوصول للهدف الأسمى وهو مرضاة الله:

وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) (الزخرف- ٣٣ إلى ٣٥)

الحقيقة أن بلدنا معزول ومغلق بإحكام وجميع الأجهزية التي تربطنا بالعالم الخارجي مثل التلفاز و الإذاعة و المجلات في يد واختيار فريق خاص هم الذين يروجون للشرك و الخرافة في هذه الأجهزة، وأي من هذه الأجهزة خالف الباقي فإنه سيحذف فوراً، وإذا خرج بلدنا من هذه المحدودية و هذا الإغلاق وأصبحت الحرية للجميع في بيان آرائهم و الجميع قادرون على البحث والنقاش واختيار لأفضل والأحسن في وصولنا إلى الحق. فالإسلام دين الله الذي بني على الوحدة ويتبرأ من أي تفرقة في الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (الانعام- ١٥٩)

الإسلام يدعو للوحدة لكن بعض المذاهب التي هي من صنع البشر و مليئة بالخرافات تدعو للتفرقة و نعلم أنه لا يتدخل في الحرام والحلال إلا الله ورسوله، ولكن في المذاهب لكل عالم حق الرأي. والمستند في الدين هو القرآن والسنة، لكن المستند في المذهب مئات من الكتب والأقوال. في الدين الله عز وجل هو المؤثر في هذا الكون بأكمله والتقليد في العقيدة مزعوم، والمدح و الثناء لغير الله شرك بالله، وشعائر الدين ثابتة.

وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ... (آل عمران- ١٠٣)

بعد ختم النبوة نحن مسؤولون في إبلاغ الدين الصحيح قطعاً كل واحد منا يعرف أفراداً من الذين يطلبون الحقيقة لكن أثر على مسيرتهم التعصب الأعمى، علينا أن نسعى بنشر هذا الكتاب وترغيب الآخرين ليكون ذلك جزء من مقابل نعم الله علينا. لقد قال الله تعالى في الآية ٣٢ من سورة المائدة: من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا. فقال رسول الله (ص): فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ (صحيح البخاري، ٢٧٨٧). سنقدم لكم مثالًا على ذلك: كلنا نتذكر هابيل وقابيل، حيث كان هابيل على طريق الهداية، لكنه استُشهد على يد أخيه الضال قابيل. تخيلوا لو أن هابيل قد بقي على قيد الحياة، فبعد آلاف السنين كان يمكن أن يولد مليارات الأشخاص من نسله، وكان العديد منهم سيصبحون موحدين. وبالمثل، لو أن قابيل أيضًا كان قد اهتدى، لكان بإمكانه، بالإضافة إلى نفسه، أن ينقل رسالة الهداية جيلًا بعد جيل إلى مليارات البشر من بعده.

كلنا مسؤول عن أسرته وعشيرته و أصدقائه و مع الأسف اليوم النساء يتكلمون فيما بينهم عن كل المسائل اليومية إلا عن الإيمان و التوحيد، يدخل الإسلام في القلوب عن طريقي الأخلاق و الإيمان و قد تكلمنا في هذا الكتاب كثيراً عن الإيمان. وفي مسيرة الدعوة إلى الله يجب أن تكون أخلاق الداعي كأخلاق الأنبياء وخاصة رسولنا الكريم ﷺ، يقول سيد قطب: "أقم دولة الإسلام في نفسك تقم على أرضك". وإذا خطر على بالكم سؤال في هذه القضية لا تنسوا التوحيد ودائماً الموحدون موجودون في كل مكان. للإجابة عن أسئلتكم مع سعي قليل ستجدون الموحدين. الحمدلله الذي من علينا بالهداية ومسؤولية إبلاغها. أرجو من الله أن تبتعد البشرية عن الخرافة والجهل و تعود إلى النور والعقل. صبر قليل الصبح قريب:

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) (الشعراء- ٧٨ إلى ٨٢)

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا (النساء – ١١٥)

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (فصلت – ٣٣)

أَلَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبدَهُ (الزمر-٣٦)

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته – دكتور عبدالله – العربى –١٤٢٧ –١٤٤٢ – ١٤٤٧

(زكات العلم نشره – من فضلك اريدك ان توزع هذا الكتاب الى جميع الناس تعرفهم – يرجى ألا تنسوا دعواتكم الطيبة لي و لزوجتي و لعائلتينا – جزاكم الله خيرا)

الملحق: هل تبحث عن المزيد من الخير والثواب؟

هذا الملحق الصغير مُعدٌّ لمن يسعى إلى نيل المزيد من الخير والثواب. يجب التأكيد على أن المسلم الموحد إذا (١) اجتنب الشرك والمعاصي الكبيرة، و(٢) حافظ على الصلوات الخمس في وقتها، و(٣) صام شهر رمضان، و(٤) أدى حج التمتع مرة واحدة في العمر، و(٥) أخرج زكاة ماله إن توافرت لديه الشروط، و(٦) دعا الله وحده، فإن الله تعالى قد أعد له الجنة. ولكن إذا أراد شخصٌ أن ينال مزيدًا من الثواب والخير، فيمكنه الاستفادة من الأدعية المذكورة هنا، بدلًا من اتباع أكاذيب علماء الدين المتاجرين بالدين .فالمسلم يجب أن يتجنب الشرك والتوسل بالأموات والأئمة، والطقوس الخرافية مثل اللطم، وضرب القامة، وضرب السلاسل، وعزاء عاشوراء وأربعينية الحسين، وقراءة الأحاديث الموضوعة، واللجوء إلى الكهنة والمنجمين والسحرة، وقراءة آلاف الأوراد البدعية الشركية التي صنعها أشخاص مزيفون. بدلاً من ذلك، يمكنه قراءة الأدعية الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ، والتي تم استخراجها من الأحاديث الصحيحة، وتوثيقها بالكامل في الجزء الثاني من الكتاب. هذا الملحق ليس سوى ملخص بسيط للتمهيد إلى الجزء الثاني. فلو قيل لك أن لديك يومًا واحدًا فقط من عمرك، كيف ستقضيه؟ هل ستبتعد عن الذنوب وتستغفر؟ هل سترُدّ الحقوق إلى أصحابها وتطلب المغفرة منهم؟ هل ستتصدق وتقرأ القرآن؟ فلماذا لا نقوم بهذه الأعمال الآن، في حين أننا لا نعلم كم تبقى لنا من العمر؟ إن قانون الله تعالى هو أن كل مخلوق مصيره إلى الموت، وليس هناك شرط للشيخوخة أو كبر السن من أجل الموت.

الدعاء أعظم العبادات، وهو عند الله تعالى في منزلة رفيعة حتى أنه يرفع به العذاب، ولو كان وقوعه وشيكًا ومحققًا. إن الدعاء مهمٌّ إلى درجة أن تركه يجلب غضب الله. فالمسلم الذي يبتعد تمامًا عن الشرك، ويتمسك بالتوحيد، ويؤدي الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، ويداوم على الدعاء، سيدخل الجنة. ولكن إذا أردنا نيل المزيد من الثواب، فيمكننا الاستفادة من الأدعية التالية:

فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَالَ: **سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ** فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ.)

ويقول: من قرأ الدعاء التالي عشر مرات، فكأنما أعتق أربعة من أبناء إسماعيل: (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ.**)

ويقول: هناك كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، محببتان إلى الرحمن: (**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيْمِ.**)

أكثر دعاء النبي ﷺ كان أنه يقول: ﴿**رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** – بقره ٢٠١﴾

فضل آية الكرسي: من قرأ آية الكرسي بعد كل صلاة، فإن الموت وحده هو الذي يمنعه من دخول الجنة. ومن قرأها في الليل، فإنه يكون محفوظًا من الجن حتى الصباح. من الجدير بالذكر أن الحديث لم يذكر النفث في اليد أو مسح الجسد بعد قراءة آية الكرسي، بل ما هو مشروع وسنة النبي ﷺ هو مجرد قراءتها. وهي من السنن المؤكدة التي يُستحب قراءتها بعد كل صلاة وقبل النوم.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ – ٢٥٥ بقره﴾. يُقرأ بعد كل صلاة.

قراءة سورة الكهف يوم الجمعة: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ.)

دعاء سيد الاستغفار: من قال الدعاء التالي بإخلاص في الليل فمات في تلك الليلة، أو قاله في الصباح فمات في ذلك اليوم، دخل الجنة: (**أَللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّيْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِيْ وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَ وَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوْءُ بِذَنْبِيْ فَاغْفِرْ لِيْ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلاَّ أَنْتَ.**)

وكذلك يُقرأ الدعاء التالي في الصباح والمساء: (**اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّموَاتِ والأرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَلِيْكَهُ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وأنْ أقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءاً، أوْ أجُرَّهُ إلَى مُسْلِمٍ**)

يُقرأ الدعاء التالي أربع مرات. من قرأه مرة واحدة، يُعتق ربع جسده من النار. ومن قرأه مرتين، يُعتق نصف جسده. ومن قرأه ثلاث مرات، يُعتق ثلاثة أرباع جسده. ومن قرأه أربع مرات، يُعتق بالكامل من نار جهنم: (**أَللَّهُمَّ إِنِّيْ اَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلاَئِكَتَكَ وَجَمِيْعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيْكَ لَكَ وَأَنَّ محمّداً عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ.**) [يُقال عند الليل: «**أَللَّهُمَّ إِنِّيْ أَمْسَيْتُ**»]

و (**أَللَّهُمَّ عَافِنِيْ فِيْ بَدَنِيْ، أَللَّهُمَّ عَافِنِيْ فِيْ سَمْعِيْ، اللَّهُمَّ عَافِنِيْ فِيْ بَصَرِيْ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَللَّهُمَّ أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ.**)

من قرأ هذا الدعاء سبع مرات صباحًا ومساءً، كفاه الله أمور دنياه وآخرته، ويفرج الله عنه كل مشاكله: (**حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ.**)

يُقرأ مئة مرة: من قال هذا الذكر مئة مرة كل يوم، تُغفر له جميع ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر. (**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**)

يُقرأ عشر مرات: من قال هذا الذكر عشر مرات بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة المغرب، فكأنما أعتق عشرة رقاب من نسل إسماعيل عليه السلام، ويُكتب له عن كل مرة عشر حسنات، وتُمحى عنه عشر سيئات، ولا يضره ذنب في ذلك اليوم إلا الشرك. (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ.**)

يُقرأ ثلاث مرات في الصباح: ثواب هذا الذكر يعادل ثواب الأذكار التي يقولها الإنسان في يوم كامل. (**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ.**)

يُقرأ مئة مرة يوميًا: للتخلص من ضيق الرزق وجلب البركة في العمل والمعيشة، لأن النبي محمد ﷺ كان يستغفر أكثر من مئة مرة يوميًا. (**أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ.**)

يُقرأ ثلاث مرات في الصباح والمساء: من قال هذا الدعاء في الصباح والمساء، كان حقًّا على الله أن يُرضيه يوم القيامة:

(رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَ بِالْإِسْلاَمِ دِيناً وَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ نَبِيّاً.)

(بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.)

يُقرأ ثلاث مرات عند الليل: من قرأ هذا الدعاء ثلاث مرات كل ليلة أو صباحًا، فلن يصيبه أي ضرر في ذلك اليوم أو تلك الليلة. **(أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ.)**

فضل الصلاة على النبي الأكرم ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب- ٥٦]

قال النبي ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً.)

دعاء عند المشقة: من دعا الله بهذا الدعاء في وقت الشدة، استجاب الله دعاءه. **(لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ.)**

الدعاء المؤكد عند وقوع المصيبة والمحنة، والذي يجب قراءته فورًا: **(إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْها.)**

وكذلك دعاء **(حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ)** في وقت الشدة، و هو دعاء النبي إبراهيم والنبي محمد ﷺ.

دعاء السفر والخروج من المنزل: من قرأ هذا الدعاء عند خروجه من المنزل أو عند السفر، يُقال له: لقد هُديتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ، وتبتعد عنه الشياطين. **(بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.)**

دعاء الشكر: دعاء موصى به جدًا لشكر الله بعد تحقيق النصر والنجاح أو في الأيام العادية: **(اَلْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ)**. سجدة الشكر لها أجر عظيم، وفيها يمكن قراءة دعاء الاستغفار ودعاء شكر الله.

الدعاء الموصى به للاستغفار الخالص: (استغفر الله العظيم واتوب اليه عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) أو بصيغة مختصرة **استغفر الله عدد خلقه.**

قال رسول الله ﷺ: من قرأ الدعاء التالي، يغفر الله له ذنوبه، حتى لو كان قد فر من ساحة الجهاد: **(أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيْمَ الَّذِيْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ.)**

وكذلك يُوصى بقراءة دعاء الاستغفار التالي في الصباح والمساء قبل النوم: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ استُرْ عَوْرَاتِي، وآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَينِ يَدَيَّ، ومِنْ خَلْفِي، وَعن يَمِيني، وعن شِمالي، ومِن فَوْقِي، وأعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحتِي)**.

الدعاء الموصى به من النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ اجعَلْ في قَلْبي نورًا، وفي بَصَري نورًا، وفي سَمْعي نورًا، وعن يَميني نورًا، وعن شِمالي نورًا، وفَوْقي نورًا، وتَحْتي نورًا، وأمامي نورًا، وخَلْفي نورًا، واجعَلْ لي يومِ لقائِكَ نورًا.)

دعاء النبي موسى في القرآن، سورة طه: دعاء يُقرأ عند الامتحان، والخطابة، والتجارة، والقيام بأي عمل: **(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)**.

دعاء شهر رمضان: العشر الأوائل، أيام الرحمة (**رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**)، العشر الأواسط، أيام المغفرة (**أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبِّيْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَّأَتُوْبُ إِلَيْهِ**)، العشر الأواخر، أيام العتق من النار (**اَللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ**).

فضل ليالي القدر: يقول الله تعالى: (**لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**)، أي أن قيمة ليلة القدر تعادل ألف شهر، أي ثلاثون ألف ليلة، أي أكثر من ٨٢ عامًا. فلا تفوتوا الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن في ليالي القدر.

فضل قراءة القرآن وختمه: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها" (ابن ماجه). كما أن ختم القرآن من الأوقات الخاصة التي تُستجاب فيها الدعوات.

قال رسول الله ﷺ: (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآن وَعَلَّمَهُ**).

ضل قراءة سورة الإخلاص: قال رسول الله ﷺ إن قراءة سورة الإخلاص تعادل ثلث القرآن (بخارى ٥٠١٥، مسلم ٨١١، احمد ١١٠٥٣).

فضل قراءة سورة الفاتحة: قال رسول الله ﷺ إن سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن (بخارى ٤٤٧٤ و احمد ١٥٧٣٠). كما جاء ملك إلى النبي ﷺ وقال: "أبشر بنورين أعطيتهما ولم يعطيا لنبي قبلك: سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٢٨٥ و٢٨٦)" (مسلم ٨٠٦ و نسائى ٩١٢).

الزمان والأماكن الخاصة في الدعاء: انتبهوا إلى أن الدعاء واجب في كل زمان ومكان (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)، يجب الدعاء في كل وقت ومكان، والله يسمع دعاء الإنسان، ولكن هناك أوقات وظروف معينة يكون فيها احتمال استجابة الدعاء أعلى بكثير. إذا وفقكم الله ومررتم بهذه الأوقات، فلا تنسوا أن تدعوا لي ولزوجتي، وللكتاب والمؤلفين، ولعائلاتنا، وللدعاة والمجاهدين في سبيل الله، ولأمة الإسلام جمعاء:

وقت نزول المطر، بين خطبتي صلاة الجمعة، الثلث الأخير من الليل بعد منتصف الليل، عند التوبة، دعاء الوالدين لولدهم، دعاء المظلوم، أثناء السجود، دعاء المريض والمسافر، الدعاء في وقت الضعف والضيق، دعاء الصائم في رمضان، وقت الإفطار، في العشر الأواخر من رمضان، في ليلة القدر، بين الأذان والإقامة، في منتصف الليل، دعاء الحجاج أثناء السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات، وقت شرب ماء زمزم، عند زيارة الحرمين في مكة والمدينة، يوم العرفه، بعد قراءة سورة الفاتحة، الدعاء بعد ختم القرآن، وغير ذلك...

صلاة السنن: هي الصلوات المستحبة التي تُؤدى إضافةً إلى الصلوات الواجبة للحصول على المزيد من الأجر والثواب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ. أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ" (ابن ماجه، ١١٤٠).

صلاة السنة قبل صلاة الفجر: ركعتان تؤديان قبل صلاة الفجر.

فضيلت: قال رسول الله (ص): (رَكعتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا) (مسلم، ٧٢٥).

صلاة السنة قبل صلاة الظهر: أربع ركعات تُؤدى قبل صلاة الظهر.

فضيلت: قال رسول الله: (مَن صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ) (ابن ماجه، ١٢٣٧).

صلاة السنة بعد صلاة الظهر: ركعتان تؤديان بعد صلاة الظهر.

صلاة السنة بعد صلاة المغرب: ركعتان تؤديان بعد صلاة المغرب.

صلاة السنة بعد صلاة العشاء: ركعتان تؤديان بعد صلاة العشاء.

أذكار بعد الصلوات المفروضة: أستغفر الله ٣ مرات، سبحان الله ٣٣ مرة، الحمد لله ٣٣ مرة، الله أكبر ٣٣ مرة. ثم (اللَّهمَّ أنتَ السَّلامُ ومنكَ السَّلامُ ، تَباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ).

وفقًا لمعظم الروايات عن النبي، يُقرأ الدعاء التالي عشر مرات بعد كل صلاة: **(لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ)**.

أو وفقًا لرواية أخرى عن النبي، يُقرأ أيضًا الدعاء التالي عشر مرات بعد صلاة المغرب والصبح: **(لا إلهَ إلاَّ اللَّه وحْدهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمْدُ يحيى و يميت وَهُو عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ)**.

الدعاء الأول المذكور أعلاه ورد في معظم الروايات، ولكن الدعاء الثاني أيضًا قد ورد وهو صحيح.

كل من يقرأ **سور الإخلاص و الفلق و الناس** بعد كل صلاة وثلاث مرات في الصباح والمساء، يكفيه الله من كل شيء.

وكذلك قراءة **آية الكرسي** بعد كل صلاة، فمن يقرأها ثم يموت، يدخل الجنة.

صلاة الضحى: هي صلاة سنة تؤدى بعد شروق الشمس إلى وقت الظهر، وأقلها ركعتان وأكثرها ثماني ركعات.

صلاة تحية المسجد: هي ركعتان تصلى عند دخول أي مسجد.

صلاة تحية الوضوء: هي ركعتان تصلى مباشرة بعد الوضوء الصحيح اقتداءً بالنبي ﷺ.

صلاة الجنازة: هي صلاة تتكون من أربع تكبيرات تؤدى على جنازة المسلم الموحد، وليس فيها ركوع أو سجود، وتؤدى وقوفًا.

صلاة التهجد وقيام الليل و الوتر: تشير صلاة التهجد إلى صلاة الليل التي تؤدى في منتصف الليل أو بعد النوم. الحد الأدنى لها ركعتان، ولكن يمكن أداؤها حتى ٢٠ ركعة. وعادة ما تُصلَّى صلاة التهجد بعدد زوجي (ركعتان). قال رسول الله ﷺ: (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.) (مسلم، ٧٣٠)

تُصلَّى صلاة الوتر بعد صلاة التهجد كخاتمة لصلوات الليل. وعادة ما تكون صلاة الوتر ركعة واحدة أو ثلاث ركعات، ولكن يمكن أن تكون أكثر. في الركعة الأخيرة من صلاة الوتر، يمكن الدعاء بعد الركوع وطلب الحاجات الخاصة من الله تعالى، ويُعرف هذا الدعاء عادةً بدعاء القنوت.

صيام النوافل: هناك العديد من الصيامات المستحبة التي أوصى بها النبي الكريم ﷺ. هذه الصيامات ليست واجبة، ولكن القيام بها مستحب ويترتب عليها أجر وثواب عظيم.

صيام عاشوراء: صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب السنة الماضية وفقًا لحديث النبي ﷺ (مسلم ١١٦٢). صيام عاشوراء لا علاقة له باستشهاد الحسين رضي الله عنه أو نجاة اليهود من فرعون في الديانة اليهودية.

صيام يوم عرفة: صيام يوم عرفة يكفر ذنوب السنة الماضية والسنة القادمة، كما ورد في حديث النبي ﷺ (مسلم ١١٦٢ و١٩٧).

صيام يومي الاثنين والخميس: قال النبي ﷺ: "تعرض الأعمال يومي الاثنين والخميس، فيغفر الله لكل مسلم لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول الله: أنظروا هذين حتى يصطلحا" (ابن ماجه ١٧٤٠ والترمذي ٧٤٧).

صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان: قال النبي ﷺ: "من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر" (مسلم ١١٦٤).

صيام أيام ١٣ و١٤ و١٥ من كل شهر هجري (الأيام البيض): قال النبي ﷺ: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر" (بخاري ١١٢٤، مسلم ١١٦٠).

إفطار الصائم :قال النبي ﷺ: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا." (ترمذي ٨٠٧).

التسبيح والذكر :يلعب التسبيح والذكر دورًا مهمًا في حياة الإنسان، ويمكن ترديدهما في أي وقت من اليوم، أثناء المشي، قبل الصلاة وبعدها، قبل النوم وبعد الاستيقاظ، أثناء القيادة، أثناء ممارسة الرياضة، وفي العديد من المناسبات الأخرى. هنا نذكر بعض الأذكار المهمة وثوابها. يمكن لأي شخص ترديد هذه الأذكار بأي عدد من المرات خلال اليوم والاستفادة من أجرها، ولكن إذا كنت ترغب في الحصول على الأجر الكامل المذكور، فيجب تلاوتها بعدد محدد كما هو مذكور أدناه.

سُبْحَانَ اللَّهِ، مئة مرة، يُكتب له مئة حسنة أو يُمحى عنه مئة خطيئة.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مئة مرة، تُغفر له ذنوبه حتى وإن كانت مثل زبد البحر.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مئة مرة، يملأ أجره ما بين السماوات والأرض.

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، بأي عدد، يُغرس له بكل مرة نخلة في الجنة.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، بأي عدد، كلمتان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مئة مرة، كمن أعتق عشر رقاب، ويُكتب له مئة حسنة، وتُمحى عنه مئة سيئة، وكان له حرزًا من الشيطان.

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، مئة مرة أو بأي عدد، كنز من كنوز الجنة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مئة مرة، يملأ ميزان العبد بالحسنات.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، مئة مرة، من صلى على النبي ﷺ صباحًا ومساءً، يعطي الله له شفاعة النبي يوم القيامة..

سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، مئة مرة، من أحب الكلام إلى الله، مكفرات للذنوب، غرس للجنة، وحرز من النار، وأحب إلى النبي ﷺ مما طلعت عليه الشمس، وهي من "الباقيات الصالحات."

أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، مئة مرة، من قالها مائة مرة كُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكان محفوظًا من الشيطان حتى المساء.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مئة مرة، أفضل الذكر.

اللَّهُ أَكْبَرُ، مئة مرة، يُكتب له بكل مرة عشرون حسنة، وتُمحى عنه عشرون سيئة.

سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، مئة مرة، ذكرٌ يجلب الخير في الدنيا والآخرة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، مئة مرة، قال النبي ﷺ: "لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا."

اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، مئة مرة، قال النبي ﷺ: "عَجِبْتُ لَهَا ، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ."

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، مئة مرة، في كل مرة تُمحى عنه عشر سيئات، وترفع له عشر درجات، ويُصلي الله عليه عشرًا.

الصدقة الجارية: الصدقة الجارية هي الأعمال الخيرية التي يستمر تأثيرها بعد وفاة الإنسان، وتظل دعوات المسلمين وأجور هذه الأعمال تُكتب له لفترات طويلة وحتى يوم القيامة. وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض هذه الأعمال في عدة أحاديث، مثل بناء المسجد، إنجاب ذرية صالحة تدعو للميت بعد وفاته، حفر قنوات المياه أو الآبار، بناء مأوى للمسافرين، العلم النافع للبشرية، طباعة المصحف الشريف ليستفيد منه الناس، وغيرها. هناك العديد من صور الصدقات الجارية التي يمكن لكل واحد منا القيام بها لضمان استمرار الأجر حتى بعد الموت، حيث تُكتب الحسنات يومياً وشهرياً في ميزان حسناتنا. وهذه هي أفضل وأعظم استثمار يمكن القيام به. فيما يلي بعض الأمثلة على الصدقات الجارية التي يمكنك القيام بها للحصول على الثواب والخير الوفير لفترات طويلة بعد وفاتك، وحتى يوم القيامة: نشر الكتب الإسلامية مثل كتاب "الإنسان العاقل"، بناء المساجد، كفالة الأيتام ورعايتهم، بناء المدارس والمستشفيات والجامعات للمسلمين، غرس الأشجار، إنجاب أبناء صالحين، الوقف من أموال التجارة في سبيل الإسلام، طباعة ونشر المصحف الشريف، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام عبر الوسائل الدعوية الكتابية أو الخطابية، نشر الإسلام عبر قنوات وسائل الإعلام الاجتماعية (سوشال ميديا) مثل إنتاج مقاطع الفيديو، البودكاست، الصوتيات والمواد الإعلامية الأخرى. كمثال على صدقة جارية حقيقية، نذكر قصة من زمن النبي ﷺ: حيث اشترى الصحابي عثمان بن عفان بئراً وبستان نخل من يهودي، ثم جعلهما وقفاً لاستخدام المسلمين. وبعد وفاة عثمان، استمر المسلمون في الاستفادة من هذا الوقف. وفي زمن الخلافة الأموية وما بعدها، تمت حماية هذا البئر والبستان، وتوسع بستان النخيل واستمرت أعمال الخير باسمه. وفي العصر الحالي، قامت الحكومة السعودية بتطوير هذا البستان باستخدام الزراعة الحديثة، وتحويله إلى مؤسسة خيرية قانونية، حيث يُخصص نصف أرباحها للصدقة، بينما يُعاد استثمار النصف الآخر في تنمية المؤسسة الخيرية. كما يوجد حساب مصرفي باسم عثمان بن عفان، حيث تُودع فيه

عوائد الاستثمار، وتستخدم لشراء الأراضي في المدينة المنورة، وبناء فنادق لإسكان الحجاج، وغيرها من المشاريع الخيرية. هذا مثال حقيقي على الصدقة الجارية، حيث لا يزال عثمان بن عفان رضي الله عنه ينال الأجر والثواب من هذا العمل حتى يوم القيامة. وفي هذا العصر الذي يقوم فيه أعداء الإسلام بالإساءة إلى الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ في كل وسيلة إعلامية، لماذا لا نبذل نحن جهداً للدفاع عن الإسلام وكسب الصدقة الجارية؟

في الختام، لمن يرغب في تعلم أدعية النبي محمد ﷺ، الأدعية التي كان يرددها بنفسه في حياته والتي أوصى المسلمين بقراءتها، ندعوكم لقراءة كتاب *حصن المسلم* و *حصن المومن*، والذي تُرجم إلى معظم لغات العالم. كما نوصي بشدة بمتابعة محاضرات وكتب الأستاذ مصطفى حسيني طباطبائي، الشيخ محمد صالح پردل، الدكتور يونس يزدان پرست، الشيخ أحمد ديدات، الدكتور ذاكر نايك، لمن يسعى إلى فهم أعمق للتوحيد والأخلاق الحقيقية للمسلم. كما نوصي بأداء عمرة إلى مكة والمدينة، حيث لم تُقطع فيها الصلاة منذ عهد النبي ﷺ ولو ليوم واحد، والطريقة التي يؤدي بها أئمة المسجد الحرام الصلاة والدعاء هي نسخة طبق الأصل من صلاة النبي ﷺ، والتي تُقام يومياً منذ وفاته دون انقطاع. وفي الختام، أرجو منكم مرة أخرى أن تدعوا لي، ولزوجتي، ولعائلتي، ولزملائي المؤلفين دعاءً صالحًا، وأن تنشروا هذا الكتاب وتوزعوه على الجميع. كما نوصيكم بقراءة الجزء الثاني من كتاب "الإنسان العاقل" عندما يتم إصداره في المستقبل، إن شاء الله. يمكنكم نشر هذا الكتاب بصيغة رقمية على الإنترنت وبين أصدقائكم، أو طباعته وتوزيعه على العلماء، والأساتذة، والطلاب والطالبات، والأطباء، والمهندسين، والممرضين، والبائعين، وموظفي الدوائر الحكومية، وباقي أفراد المجتمع. وكل شخص يهتدي بسبب مساعدتكم، سيكون ذلك صدقة جارية لكم حتى يوم القيامة.

مراجع و منابع

١- قرآن كريم

٢- المصطلحات الأربعة في القرآن – المؤلف: أبو الأعلى المودودي

٣- تفسير فى ظلال القرآن – المؤلف: سيد قطب ابراهيم حسين شاذلى

٤- احياء علوم الدين – المؤلف: ابوحامد محمد غزالى

٥- حسن المسلم – المؤلف: سعيد بن علي بن وهف القحطاني

٦- حسن المومن – المؤلف: دكتر يونس يزدان پرست

٧- محاضرات وكتب الأستاذ مصطفى حسيني الطباطبائي والأستاذ محمد صالح بُردل

٨- و كثير الكتب و المواقع فى اينترنت:

(islambook.com) (rasoulallah.org) (wisehuman.net)